العدد 1

مع الشباب
MA ASHABAB

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد الأول ــ السنة الأولى ــ شتاء 2018م ـ 1439هـ

التصميم الذكيّ

- تصميم ذكي لا صدفة عمياء
- الله موجود على ضوء منطق حساب الاحتمالات
- ستيفن هوكينغ : كلامي مجرّد فرض لا يمكن اختباره
- من خلق الله ؟
- النيوداروينيّة : علم أم إيديولوجيا؟

مقابلة مع البروفسور

خليل أحمد خليل

تحقيق

المطالعة
أزمة ورق أم أزمة مزاج؟

قصّة قصيرة

زهرة بانسيه

- "نظام يقوم مقام الإله" فيلم GEOSTORM للمخرج دين ديفلن
- هامش للموت
- نوموفوبيا: اتجاه صاعد بين الشباب
- الخوارزميات

by: hasan alhusaini

بوصلة

واجب المبادرة

شهد منتصف القرن الماضي على أحد المنعطفات الهامة في التاريخ العربي الحديث. إذ نمت في أوساط الشباب حركةٌ ثقافية نابعة من حاجتهم إلى مجلاتٍ ومنابرَ ثقافيةٍ، تحمل نبضَهُم المتدفقَ وعياً وحماسة. فبرَزت مجموعة من المجلات التي استهدفت رفع المستوى الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ. ونجَحَ بعضها في تقديم الفكر الفعّال، الذي تصادقَ وتعاطى مع حاجات ذلك المجتمع وهمومِه وتطلُّعاته، وأثّر فيه بقدر ما تأثّر به.

لا ريب في أن حركة التاريخ البشري تسيرُ في خطٍّ بيانيّ تصاعديّ، بنحوٍ لم تعرف المجتمعاتُ الإنسانيّةُ حالةَ ستاتيكو في حياتِها المديدة. فالمسيرةُ البشريّةُ في تقدّمٍ وتطوّرٍ مستمرّين. ولكن، يُمكن القول، إنَّ العاملَ المتغيرَ للمشهدِ الثقافيّ في السنواتِ الثلاثين الأخيرة، يوازي العاملَ المتغيرَ على مدى ثلاثةِ قرون.

هذ الطفرة، انعكَست بنيويًّا على هويّة الحضارةِ الإنسانيّة. فالتوغُّلُ في أسرارِ الطبيعةِ المحيطة، والغوص في الفضاء السيبيريّ، يساهمان في خدمة البشريّة في عالم الأشياء أيُّما خدمة! ولكن، هل يقدمان نفس الخدمة في عالم الأفكار والقيم، كما يتوجّس المفكرُ العربيّ مالك بن نبي؟. فالعناصر الماديّة تتغيّر بسرعةٍ أكبر من العناصر المعنويّة في المجتمعات الإنسانية. ما يولّدُ «فجوة ثقافية»، تُحتّم على المجتمع أن يعيدَ تنظيمَ نفسِه بعدَ كلّ اختراعٍ وتقدُّمٍ تقنيّ، حتى تتكيّفَ جميع عناصره وتسيرَ جوانبُ الثقافة، الماديّةُ والمعنويّة، جنبًا الى جنب.

ولكن، يبدو أنّ هذا التطوّر الآليّ قد أوصل إلى نقطة «تشيء الإنسان» كما يرى الفيلسوف هربرت ماركيوز. فيُصبح المعيار هو المظهر والتملُّك لا الجوهر والإنسان بما هو كائن، كما عبّر إريك فروم. وبدورِنا، لا نعلمُ إذا كان حضورُنا في هذا العصر نعمةٌ أم نقمة!

لقد وظّفَ بعضُ الفلاسفةِ والمفكرين هذا التطوّر العلميّ في تفعيلِ نزعةِ الإلحادِ والشكّ في كلّ ما هو إلهي وديني. فمقولةُ فرويد «إن الدين ما هو إلا عُصاب تشكو منه الإنسانية»، ولازمةُ ماركس الشهيرة «إنّ الدين أفيون الشعوب»... إلخ، تتردّد أصداؤها حتى في الفضاء العام العربيّ. لكأنّ من نطق بها قد أنقذ البشريةَ من مشاكلِها كافّة! ولكأنّه لا ثقافةَ لعربيٍّ إلا ما تثاقفَهُ من الغرب الماديّ.

الواقع أن الاستهلاك الثقافي هو أكثرُ تدميرًا للأجيال من الاستهلاك البضائعي. لقد اقتحمت هذه التصورات عن الله والكون والإنسان مناهج التربية والتعليم في مختلف المراحل الدراسية، والفروع والاختصاصات الجامعية. بحيث يتشكّلُ وعيُ شبابِنا اليوم على ضوء مضامينها. فينساقُ بعضُهم وراء هذه النزعةِ المثقلةِ بالإلحاد، اللاأدرية، اللادينية، العلمانية، التشكيك بالوحي والقرآن، وتشويه صورة النبي...

وحينَ يتمُّ تسويقُ الأفكارِ كسِلع، لا يبقى على الشعوبِ المستعمَرةِ -نفسيًا- إلا التهامَها. فما الحال والديكتاتوريّةُ والبطالةُ والأميّة، وتحدّيات النظام العالميّ الجديد، ومؤخّرًا تحدّياتُ التكفير، قد وضَعَت شبابنا اليوم إما في صدارةِ مواجهتِها وإما في الانفعال السلبي بها، وأعادَت ثقافتَنا نحن العرب إلى الأدراج المقفلة! وما القولُ وسنّة الكون، أنّ النهضات والثورات، إنّما تنطلقُ من نفسِ ثقافةِ الأمة!

إلى ذلك، فإن ثورةً أخرى قد شرَعَت في إعادةِ تشكيل العلاقات الاجتماعيّة والثقافاتِ الساريةِ في المجتمعات. هي الثورةُ الرقميّة. التي وجد الشباب فيها فضاءً يعبّرون فيه عن آرائهم التي يتمّ تغييبها في الواقع العربيّ، وينشرون فيها أعمالَهم وإبداعاتِهم التي لا تلقى رعايةً ملموسة، كما يتفاعلون ويناقشون ويتحاورون في كافة الميادين الثقافية.

والواقع أنّ تصرف الأفراد في الفضاء الواقعي ليس هو الذي يُرى في الفضاء السيبيريّ تماماً. ذلك أن التصرف في الفضاء الأخير، يتحلّل فيه الفرد من قيودات الزمان والمكان، ومن مسؤوليّة وجوده، ومن أدواره الاجتماعيّة، ومن القيود السياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة والقِيَميّة. ما يعطيه قدرًا كبيرًا من الحرية التي ربّما لا يتمتّعُ بها في واقع حياتِه الطبيعيّة. الأمرُ الذي يشيرُ إلى تحديات عدّة، منها ربما «ضعف العقل الجمعيّ في الفضاء الواقعيّ، في إفراز قواه والمحافظة عليها بمستوى عالٍ من الضبط والتحكم، أو التوجيه الاجتماعي العام للجماعات والأفراد».

أمام هذا المشهد، وكمساهمةٍ منّا واقعياً وسيبيريّاً في مواجهة التحديات الفكريّة والعَقَديّة وغيرِها. ولإعطاء مساحةٍ لنشرِ إبداعاتِ الشباب ومساهماتِهم الفكريّةِ والأدبيّةِ والفنيّة. ولتوفيرِ منبرٍ للتعبيرِ عن آرائهم ووجهاتِ نظرِهم، ولبناءِ موقعٍ للتحاورِ والنقاش وتبادل الخُبُرات... نطلِق مجلّة «مع الشباب»، مجلةً ورقية وإلكترونية. ورقيّة لكي تعيدَنا إلى زمن رومانسيّة الحبر ورائحةِ القرطاس اللّذيْن أقسم الله تعالى بهما في كتابه الحكيم (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)، وإلكترونيّة لنواكبَ التفاعليّة الرقميّة ونكونَ فاعلين ومنتجين للثقافة من خلالها.

قد يقولُ قائل، إنّ في ذلك طموحًا رفيعًا، خاصّة في ظلّ الكسلِ الفكريّ الناتج عن الاستهلاك، والبرمجةُ الذهنيّةُ كما سَبَق، وكذلك التدرُّج نحو انعدام الاجتهاد والحماس نحو التطوّع. وأيّ توقّعٍ أو استنتاجٍ لصعوبةِ الأمر سيكون منطقيًا، إلا أنّ ذلك لا يُعفينا من واجب المبادرة. فكم من بلد تحرّر بفعل مبادراتٍ بَدَت في بداية الأمر ضربًا من المستحيل. وكم من مشاريع طموحة بات أصحابُها في همّ، ثم أصبحوا على مؤسساتٍ كبيرة.

سكرتير التحرير

زينب عقيل

مع الشباب
MA ASHABAB

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد الأول ـ السنة الأولى ـ 1439هـ ـ شتاء 2018

رئيس التحرير
سامر توفيق عجمي

سكرتير التحرير
زينب عقيل

الإخراج الفني
علي ميرحسين

الهيئة الاستشارية
نبيل سرور
جهاد سعد
إبراهيم الموسوي
حسن رضا

أسرة المجلة
محمد مجدي
مريم ميرزادة
فرح الحاج دياب
فاطمة الزهراء عمّار
طارق عسيلي
فاطمة سلمان
حسين عمّار
خضر فرحات
علي زين
حسن الحسيني

Intelligent Design
التصميم الذكي

تصميم ذكي
لا صدفة عمياء

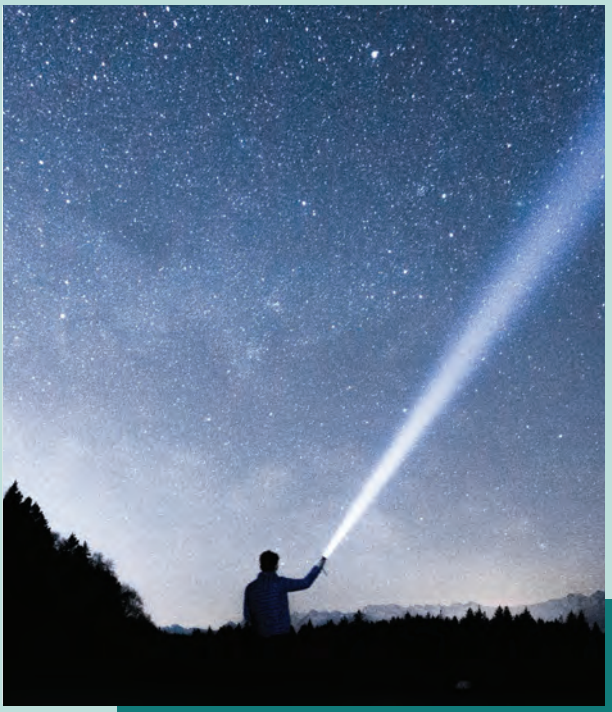

فهل هناك وراء هذه الكائنات – التي تثيرُ الدهشةَ بدقَّةِ تصميمِها، وتحيِّر العقولَ بتناغمها الوجوديّ – مصمّمٌ ذكيّ أبدَعَها؟! أهي أخرَجَت نفسَها من فراغٍ عدميٍّ إلى الوجود بفعل الصدفة واللاشيئيّة؟!

في رحلة البحث منذ بَدء النظرِ في الوجود حتّى اليوم، ثمّة فرضيّتان لم يعثرِ العقلُ بعدُ على ثالثةٍ لهما: إمّا المصمّمُ الذكيّ وإمّا الصدفةُ العمياء، وفي الأعمّ الأغلب كان التصويت لمصلحة: نعم، الله موجود.

إنّ عالِم الحيوان أو عالِم النبات أو عالم الفلك، عندما يكتبون في مسألةٍ واحدة فقط، عن حيوانٍ فردٍ أو نبتةٍ واحدةٍ أو كوكب صغير، فإنّهم قد يكتبون آلاف الصفحاتِ التي تحتوي تفاصيلَ عجيبةً عن صُنعِه ودقّةِ هندستِه، وعن القوانينِ الداخليّةِ التي تحكُم وجودَه. ولا ريْب في أنّها تفوقُ آلافَ المرّات التصميم الذكيّ الموجودَ في الهاتف المحمول، والذي لا يُمكِن أن تُصدِّقَ عندما تنظُرُ إليه، بأنه صناعةُ الصدفة والعدم. بل هو إنجازُ مصمّمٍ ذكيٍّ ياباني أو أمريكيّ أو آخر...؟!!

هذه هي التجربةُ اليوميّةُ لكلّ واحد منّا في الحياة، مع الهاتف والتلفزيون والسيّارة والكمبيوتر وديوان الشعر والمنزل الجميل و...، فلا نتصوّر يوماً أنّ واحدةً منها قد خرَجَت إلينا من اللاشيء، ووضَعَت نفسَها بين أيدينا. بينَما يريدُ الملحدُ أن نتصوّرَ مليارات

> «شهادة كلّ فطرة سليمة على أنّ فاعل هذا الترتيب العجيب والنظم المحكم، يستحيل أن تكون قوّة عديمة الشعور»[1].
>
> الفيلسوف ملا صدرا

أيّها الملحد، عندما تصدّق أنت أنّ قِرداً على الرغم من أنّه يتمتّعُ بالحياةِ والشعورِ والإدراكِ الحسّيّ، ودرجةٍ من الذكاء – بغضّ النظر عن نسبتها رياضيّاً – قادرٌ وبفعلِ عاملِ الصدفة، على تأليف كتابٍ واحد، ينقضُ فيه نظريّاتِ ستيفن هوكينغ وريتشارد دوكنز. حينَها فقط قد أصدّق أنا، أنّ الفراغَ العدميَّ، أو المادّةَ العمياء أو الصدفةَ الصمّاء، قد أوجَدَت كلَّ هذه الكائناتِ العجيبةِ بتصميمِها **الذكيّ الذي أذهلَ عقول العلماء!**

1– الشيرازي، محمد (المعروف بصدر المتألهين الشيرازي)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981م، ج9، ص118.

الكائناتِ التي تفوقُها ذكاءً في التصميم، قد خرَجَت إلينا من اللاشيء والعدم؟!!

ما عشتَ أراكَ الدهرُ عَجَباً!

نعم، إنّه جنون الإلحاد. عندما يريد الملحدُ أن نصدّقَ ما يتناقض مع أبسطِ قوانين العقل والتجربة، ونكذّبَ ما تشهدُ عقولُنا ببداهتِه!

إنّها خديعةُ الإلحاد التي تكمُن في تحويلِ اليقينِ البديهيّ بقضيّة أنّ «الله موجود»، إلى مجرّدِ فرضيّةٍ محتملة. أو

يُريد الملحد أن نتصوّر مليارات الكائنات التي تفوق ذكاءه في التصميم، بأنّها قد خرجت إلينا من العدم.

فرضيّةٍ قد تجمَّعَتِ القرائنُ والأدلّةُ على نفيها بواسطة رشقاتٍ من الشُّبهات البروباغانديّة والأسطوريّة.

هل يُعقل أن تكون مجموعةُ الأنظمةِ والقوانينِ التي تضبِطُ إيقاعَ العناصرِ المختلفةِ في الكون، في شبكة مترابطة ومنسجمة، صدفة؟!

هل يُعقل أنّ هذا الانسجامُ الكونيّ الذي يسيرُ نحو هدفٍ مشترك، وهو أن يكون صالحاً لحياة الإنسان وعيشِه فيه، صدفة؟!

لو فرضنا - بأدب الحوار - أنّ المادّةَ الفاقدةَ للحياةِ والشعورِ والذكاء والإدراك، قد تحوّلت عبر مليارات السنين ذاتيّاً إلى كائناتٍ حيّةٍ ذكيّةٍ مدركة (على الرغم من أنّ فاقد الشيء لا يمكن أن يكون مُعطيّاً له؟!)، يبقى السؤال الذي لم يستطع أيّ ملحد أن يجيب عنه: من أوجد المادّة الأولى؟

ولو فرضنا - بأدب الحوار أيضاً - أزليّة المادة، فمن أبدَعَ القوانين (كقانون الحركة والجاذبيّة والتمدّد و...) التي ساعدت المادّة

على التحوّل إلى ما نُعاينُه من كائنات؟!

الواقع أنّ وجودَ النظمِ والقوانينِ والتصميمِ الذكيّ، يطرُدُ فكرةَ العبثيّةِ والصدفةِ خارج التاريخِ المعرفيّ للبشر. وذلك بتضاؤلِ نسبةِ احتمالِها رياضيّاً إلى درجةٍ تُقارب الصفر. ما يجعلُنا نستبعدُ على الأقل، فرضيّةَ أنّ قوّةَ النّظم قد حصَلَت من الطبيعةِ ذاتِها، من دون حاجةٍ إلى مؤثّرٍ خارجيّ.

وقد يقتحِم علينا من يُنكرُ فكرةَ النظامِ في الكون، فما يُقال عنه إنّه نِظام، ما هو إلّا وهمٌ صاغَه الذهنُ البشريّ، وإلّا كيف نفسّرُ وجودَ التسونامي والفياضانات والزلازلِ والبراكين... إلخ، فهل هذه فوضى أم نظام؟

لعلّه غَفَلَ عن أنّ ما ذكرَه يؤكّدُ فكرةَ النظام ولا يُلغيها. فهو مع ماذا يقارنُ هذه الظواهر الطبيعيّة؟ ولماذا لم يختر إلّا بعض عناصر الطبيعة؟

إنّه يقارنُها مع فكرة النظام كي يراها فوضى، وعليه فإنّ الشيء قد «يُظهرُ حسنَه الضدُّ». كما أنّ فكرةَ وجودِ

خديعة الإلحاد تكمُن في تحويل اليقين البديهي بقضية أن الله موجود، إلى مجرّد فرضيّة محتملة.

أنظمةٍ وقوانينَ تحكُم حركةَ الظواهرِ الكونيّةِ بصورةٍ متّسِقةٍ ومُنسجمة، هي موضعُ اتّفاقِ العلماء. وإلّا لولا هذه القوانين، لا معنى للحديثِ عن أيّ علمٍ من العلوم الطبيعيةِ كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والفلك والطبّ وغيرِها، لأنّها علومٌ مبنيّةٌ على أساسِ الإقرارِ بوجودِ قوانينَ كونيّةٍ عامّة، كقانون الجاذبيّة، وقانون الحركة، وقانون الاطّراد... إلخ.

إلى ذلك، فإنّ النظام لا يُعاينه الخبيرُ المتخصِّصُ وحسب. بل إنّ كلَّ إنسانٍ يُلاحِظُ هذه النظمَ في الكون، بتكـــرُّرِ مشاهـــداتِه

سامر توفيق عجمي

رئيس التحرير

> فرنسيس بيكون: هؤلاء الذين يُنكِرون الله يحطّمون كرامة الإنسان.

الحسّيّةِ. ويحدِّدُ أساليبَ حياتِه العَمَليَّةِ في التجارةِ والزراعةِ والصيدِ والسفر و...، في ضوءِ الحركةِ المنتظمةِ للظواهر الكونيّة. كحركةِ الشمسِ من الشرق إلى الغرب، وتعاقب الليل والنهار، والفصول الأربعة، ومواقع النجوم، إلى عشراتِ آلاف الظواهرِ التي تعملُ بشكلٍ منتظم، فتُسهِّلُ علينا مسيرةَ الحياة.

لقد صدق فرنسيس بيكون – وهو الأبُ المؤسّس للمنهج العلميّ الحديث – عندما قال: «هؤلاء الذين يُنكِرون الله يحطّمون كرامةَ الإنسان. لأنَّ الإنسانَ من حيثُ الجسم، شبيه بالدوابّ. وإذا لم يشبه الله من حيث الروح، أضحى مخلوقاً وضيعاً وحقيراً»[1].

فلا تحطّموا كرامتي الإنسانيّة.

رئيس التحرير
سامر توفيق عجمي

1- جهانكيري، محسن، فرنسيس بيكون آراؤه وآثاره، تعريب عبد الرحمن العلوي، ط1، دار الهادي، بيروت، 1426هـ-2005م، ص211.

الله موجود
على ضوء منطق حساب الاحتمالات

محمد باقر الصدر

الفيلسوف العربيّ والمسلم، الذي كلّما أرّخنا للمواجهة الفكريّة مع المدّ الإلحاديّ الماركسيّ استحضرنا اسم كتابه: «فلسفتنا»، وقد غلب الحديث عن هذا الكتاب عند البحث في البُعد الفلسفيّ لشخصيّة السيّد الصدر، مع أنّ قمّة الإبداع الفلسفيّ (والمعرفيّ -المنطقيّ) عنده تجلّت في كتابه «**الأسس المنطقيّة للاستقراء**»، الذي عالج فيه مُشكلة أرّقت وما زالت تؤرّق الذّهن البشريّ أكثر من ألفي سنة، فيما عُرف بمشكلة الاستقراء (Proglem of induction) حيث ابتدع منهجاً جديداً في المعرفة، مُقابل المنهجين الأرسطيّ والتجريبيّ، سمّاه المذهب الذاتيّ للمعرفة.

ولم ينطلق السيد الصدر في مُعالجة مشكلة الاستقراء من همّ فلسفيّ ومنطقيّ محض، كما فعل ديفيد هيوم أو برتراند رسل ورودولف كارناب وكارل بوبر وهانز ريشبناخ وغيرهم، بل من حيث كونه مهتمّاً بإصلاح العقيدة الإنسانيّة، في بيئة سيطرت عليها النزعة الإلحاديّة، وحاولت تصوير وجود تناقض جذريّ بين المنهج العلميّ - التجريبيّ والإيمان بالله.

هذا التحدّي الذي ما زال مطروحاً على شبابنا بقوّة في عالمنا المعاصر اليوم، في صدى نسمعه من كبار الملحدين، كعالم الفيزياء ستيفن هوكينج وعالم البيولوجيا التطوّريّة ريتشارد دوكنز. حيث يقول الأخير: «لقد طرد دارون الإله من البيولوجيا، ولكنّ الوضع في الفيزياء بقي أقل وضوحاً، ويُسدّد هوكينج الضربة القاضية الآن».

لقد استطاع السيّد الصدر، أن يُبرهن في دراسته نقطة في غاية الأهمّيّة من الناحية العقائديّة، وهي «أنّ الأسس المنطقيّة التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلميّة المستمدّة من الملاحظة والتجربة، هي الأسس المنطقيّة نفسها التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المُدبّر لهذا العالم...

فالإنسان بين أمرين: فهو إمّا أن يرفض الاستدلال العلميّ ككلّ. وإمّا أن يقبل الاستدلال العلميّ ويُعطي الاستدلال الاستقرائيّ على إثبات الصانع القيمة نفسها التي يمنحها للاستدلال العلميّ»[1].

وقد ارتأينا في مجلّة «مع الشباب»، أن ننشر الدليل العلميّ القائم على حساب الاحتمالات كما عرضه السيّد الصدر في كتابه: «المُرسِل والرسول والرسالة» مع بعض الاختصار والتصرّف، لأنّه يدخل في قلب ما يُعرف بالتّصميم الذكيّ.

1. الأسس المنطقية للاستقراء، ص: 469.

الفيلسوف العربيّ والمسلم، الذي كلّما أرّخنا للمواجهة الفكريّة مع المدّ الإلحاديّ الماركسيّ استحضرنا اسم كتابه: «فلسفتنا»، وقد غلب الحديث عن هذا الكتاب عند البحث في البُعد الفلسفيّ لشخصيّة السيّد الصدر، مع أنّ قمّة الإبداع الفلسفيّ (والمعرفيّ-المنطقيّ) عنده تجلّت في كتابه «**الأسس المنطقيّة للاستقراء**»، الذي عالج فيه مُشكلة أرّقت وما زالت تؤرّق الذّهن البشريّ أكثر من ألفي سنة، فيما عُرف بمشكلة الاستقراء (Proglem of induction) حيث ابتدع منهجاً جديداً في المعرفة، مُقابل المنهجين الأرسطيّ والتجريبيّ، سمّاه المذهب الذاتيّ للمعرفة.

ولم ينطلق السيد الصدر في مُعالجة مشكلة الاستقراء من همّ فلسفيّ ومنطقيّ محض، كما فعل ديفيد هيوم أو برتراند رسل ورودولف كارناب وكارل بوبر وهانز ريشبناخ وغيرهم، بل من حيث كونه مهتمّاً بإصلاح العقيدة الإنسانيّة، في بيئة سيطرت عليها النزعة الإلحاديّة، وحاولت تصوير وجود تناقض جذريّ بين المنهج العلميّ – التجريبيّ والإيمان بالله.

> السيد الصدر: الاسس المنطقية التي تقوم عليها كلّ الاستدلالات العلميّة المستمدّة من الملاحظة والتجربة، هي الأسسُ المنطقيّة نفسها التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبّرُ لهذا العالم.

هذا التحدّي الذي ما زال مطروحاً على شبابنا بقوّة في عالمنا المعاصر اليوم، في صدى نسمعه من كبار الملحدين، كعالم الفيزياء ستيفن هوكينج وعالم البيولوجيا التطوّريّة ريتشارد دوكنز. حيث يقول الأخير: «لقد طرد دارون الإله من البيولوجيا، ولكنّ الوضع في الفيزياء بقي أقل وضوحاً، ويُسدّد هوكينج الضربة القاضية الآن».

لقد استطاع السيّد الصدر، أن يُبرهن في دراسته نقطة في غاية الأهمّيّة من الناحية العقائديّة، وهي «أنّ الأسس المنطقيّة التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلميّة المستمدّة من الملاحظة والتجربة، هي الأسس المنطقيّة نفسها التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المُدبّر لهذا العالم...

فالإنسان بين أمرين: فهو إمّا أن يرفض الاستدلال العلميّ ككلّ. وإمّا أن يقبل الاستدلال العلميّ ويُعطي الاستدلال الاستقرائيّ على إثبات الصانع القيمة نفسها التي يمنحها للاستدلال العلميّ»[1].

1. الأسس المنطقية للاستقراء، ص: 469.

وقد ارتأينا في مجلّة «مع الشباب»، أن ننشر الدليل العلميّ القائم على حساب الاحتمالات كما عرضه السيّد الصدر في كتابه: «المُرسِل والرسول والرسالة» مع بعض الاختصار والتصرّف، لأنّه يدخل في قلب ما يُعرف بالتّصميم الذكيّ.

تعريف الدليل العلميّ: هو كلّ دليل يعتمد على الحسّ والتجربة ويتّبع منهج الدليل الاستقرائيّ القائم على حساب الاحتمالات. وسنشرح أوّلاً خطوات هذا المنهج الذي نعتمد عليه في حياتنا اليوميّة، ويستخدمه العلماء في البحوث التجريبيّة، ثمّ ننظر هل يُمكننا تطبيق خطوات هذا الدليل على الظواهر الكونيّة، لنثبت وجود الصانع الحكيم؟ أم أنّ اتّباعُ خطوات الدليل العلميّ تُوصلنا إلى أنّ الكون وُجد صُدفة ولا من شيء؟

يُمكن تلخيص هذا المنهج بخمس خطوات، هي:

أوّلاً: نُواجه في مجال الحسّ والتجربة ظواهر عديدة.

ثانياً: ننتقل بعد ملاحظتها وتجميعها إلى وضع فرضيّة صالحة لتفسير تلك الظواهر وتبريرها جميعاً، بمعنى أنّها إذا كانت ثابتة في الواقع فهي تتناسب مع وجود جميع تلك الظواهر التي هي موجودة فعلاً.

ثالثاً: نُلاحظ أنّ هذه الفرضيّة إذا لم تكن صحيحة في الواقع، ففُرصة وجود تلك الظواهر كلّها مجتمعة ضئيلة جدًّا، كواحد في المائة أو واحد في الألف وهكذا.

رابعاً: نستخلص من ذلك، أنّ الفرضيّة صادقة، ويكون دليلنا على صدقها وجود تلك الظواهر التي أحسسنا بوجودها في الخطوة الأولى.

خامساً: إنّ درجة إثبات تلك الظواهر للفرضيّة المطروحة في الخطوة الثانية، تتناسب عكسيّاً مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر جميعاً إلى احتمال عدمها على افتراض كذب الفرضيّة، فكلّما كانت هذه النسبة أقلّ كانت درجة الإثبات أكبر، حتّى تبلغ في حالات اعتياديّة كثيرة، إلى درجة اليقين الكامل بصحّة الفرضيّة.

تطبيق خطوات هذا الدليل على الظواهر الكونيّة:

الخطوة الأولى:

نُلاحظ توافقاً مطّرداً بين عدد هائل من الظواهر المنتظمة، وبين حاجة الإنسان ككائن حيّ وتيسير الحياة له، على نحوٍ نجد أنّ أيّ بديل لظاهرة من تلك الظواهر يعني انطفاء حياة الإنسان على الأرض أو شلّها.

فيما يلي نذكر عدداً من تلك الظواهر كأمثلة:

تتلقّى الأرض من الشمس كمّيةً من الحرارة تمدّها بالدفء الكافي لنشوء الحياة وإشباع حاجة الكائن الحيّ إلى الحرارة، لا أكثر ولا أقلّ. وقد لُوحظ علمياً أنّ المسافة التي تفصل بين الأرض والشمس، تتوافق توافقاً كاملًا مع كمّية الحرارة المطلوبة من أجل الحياة على هذه الأرض، فلو كانت ضِعْفَ ما عليها الآن، لَمَا وُجدت حرارة بالشكل الذي يُتيح الحياة، ولو كانت نصف ما عليها الآن، لتضاعفت الحرارة إلى الدرجة التي لا تُطيقها حياة.

ونُلاحظ أنّ قشرة الأرض والمحيطات تحتجز – على شكل مركّبات – الجزء الأعظم من الأوكسجين، حتّى إنّه يكوّن ثمانية من عشرة من جميع المياه في العالم، وعلى الرغم من ذلك ومن شدّة تجاوب الأوكسجين من الناحية الكيمياويّة للاندماج على هذا النحو، فقد ظلّ جزءٌ محدود منه طليقاً يُساهم في تكوين الهواء، وهذا الجزء يُحقّق شرطاً ضرورياً من شروط الحياة، لأنّ الكائنات الحيّة، من إنسان وحيوان بحاجة ضروريّة إلى أوكسجين لكي تتنفّس، ولو قُدّر له أن يُحتجز كلّه ضمن مركّبات لَما أمكن للحياة أن تُوجد.

وقد لوحظ أنّ نسبة ما هو طليق من هذا العنصر، تتطابق تماماً مع حاجة الإنسان وتيسير حياته العمليّة، فالهواء يشتمل على 21% من الأوكسجين، ولو كان يشتمل على نسبة كبيرة لتعرّضت البيئة إلى حرائق شاملة باستمرار، ولو كان يشتمل على نسبة صغيرة لتعذّرت الحياة أو أصبحت صعبة، ولَما توفّرت النار بالدرجة الكافية لتيسير مهمّاتها.

ونلاحظ ظاهرةً طبيعيّةً تتكرّر باستمرار ملايين المرّات على مرّ الزمن، تُنتج الحفاظ على قدر معيّن من الأوكسجين باستمرار، وهي أنّ الإنسان والحيوان عموماً، حينما يتنفّس الهواء ويستنشق الأوكسجين يتلقّاه الدم ويُوزّع في جميع أرجاء الجسم، ويُباشر هذا الأوكسجين في حرق الطعام، وبهذا يتولّد ثاني أوكسيد الكربون الذي يتسلّل إلى الرئتين ثمّ يلفظه الإنسان، وبهذا يُنتج الإنسان وغيره من الحيوانات هذا الغاز باستمرار، وهذا الغاز بنفسه شرط ضروريّ لحياة كلّ نبات، والنبات بدوره حين يستمدّ ثاني أوكسيد الكربون يفصل الأوكسجين منه ويلفظه ليعود نقيّاً صالحاً للاستنشاق من جديد.

وبهذا التبادل بين الحيوان والنبات أمكن الاحتفاظ بكمّية من الأوكسجين، ولولا ذلك لتعذّر وجود هذا العنصر وتعذّرت الحياة على الإنسان نهائيّاً. إنّ هذا التبادل نتيجة آلاف من الظواهر الطبيعيّة التي تجمّعت حتّى أنتجت هذه الظاهرة التي تتوافق بصورة كاملة مع متطلّبات الحياة.

> يبعُد القمر عن الأرض مسافة محددة، وهي تتوافق تمامًا مع تيسير الحياة العمليّة للإنسان على الأرض، ولو كان يَبعُد عنا مسافة قصيرة نسبيّاً، لتضاعف المدُّ الذي يُحدِثهُ وأصبح من القوّة على نحوٍ يُزيح الجبال من مواضعها.

ونلاحظ أنّ النتروجين بوصفه غازاً ثقيلًا أقرب إلى الجمود، يقوم عند انضمامه إلى الأوكسجين في الهواء بتخفيفه بالصورة المطلوبة للاستفادة منه.

ويلاحظ هنا أنّ كمّيّة الأوكسجين التي ظلّت طليقةً في الفضاء، وكمّيّة النتروجين التي ظلّت كذلك هما منسجمتان تماماً، بمعنى أنّ الكمّيّة الأولى هي التي يُمكن للكمّيّة الثانية أن تخفّفها، فلو زاد الأوكسجين أو قلّ النتروجين لَما تمّت عمليّة التخفيف المطلوبة.

ونلاحظ أنّ الهواء كمّيّة محدودة في الأرض، قد لا يزيد على جزء من مليون من كتلة الكرة الأرضيّة، وهذه الكمّيّة بالضبط تتوافق مع تيسير الحياة للإنسان على الأرض، فلو زادت نسبة الهواء على ذلك أو قلّت لتعذّرت الحياة أو تعسّرت، فإنّ زيادتها تعني ازدياد ضغط الهواء على الإنسان، الذي قد يصل إلى ما لا يُطاق، وقلّتها تعني فسح المجال للشُّهب التي تتراءى في كلّ يوم لإهلاك من على الأرض واختراقها بسهولة.

ونلاحظ أنّ قشرة الأرض التي كانت تمتصّ ثاني أوكسيد الكربون

والأوكسجين محدّدة على نحوٍ لا يُتيح لها أن تمتصّ كلّ هذا الغاز، ولو كانت أكثر سماكةً لامتصّته، ولهلك النبات والحيوان والإنسان.

ونُلاحظ أنّ القمر يبعُد عن الأرض مسافةً محدّدةً، وهي تتوافق تماماً مع تيسير الحياة العمليّة للإنسان على الأرض، ولو كان يبعُد عنّا مسافةً قصيرةً نسبيّاً، لتضاعف المدّ الذي يُحدثه وأصبح من القوّة على نحوٍ يُزيح الجبال من مواضعها... وغيرذلك

من الظواهر التي لا تُعدّ ولا تحصى، والمثبتة بالتجربة في العلوم الطبيعيّة المختلفة.

الخطوة الثانية:

نجد أنّ هذا التوافق المستمرّ بين الظاهرة الطبيعيّة ومهمّة ضمان الحياة وتيسيرها في ملايين الحالات، يُمكن أن يفسّر في جميع هذه المواقع بفرضيّة واحدة، وهي أن نفترض صانعاً حكيماً لهذا الكون، قد استهدف أن يوفّر في هذه الأرض عناصر الحياة ويُيسّر مهمّتها، وهذه الفرضيّة تستبطن كلّ هذه التوافقات.

الخطوة الثالثة:

نتساءل: إذا لم تكن فرضيّة الصانع الحكيم ثابتةً في الواقع؟ فما هو مدى احتمال أن توجد كلّ تلك التوافقات بين الظواهر الطبيعيّة ومهمّة تيسير الحياة، من دون أن يكون هناك هدفٌ مقصود؟ من

الواضح أنّ احتمال ذلك يعني افتراض مجموعة هائلة من الصُدَف، لأنّ افتراض المشابهة في ألف صفة ضئيل بدرجة كبيرة في حساب الاحتمالات، فما ظنّك باحتمال أن تكون هذه الأرض التي نعيش عليها بكلّ ما تضمّه، من صُنع مادّة غير هادفة ولكنّها تُشابه الفاعل الهادف الحكيم في ملايين ملايين الصفات؟

الخطوة الرابعة:

نرجّح بدرجة لا يشوبها الشكّ أن تكون الفرضيّة التي طرحناها في الخطوة الثانية صحيحةً، أي إنّ هناك صانعاً حكيماً.

الخطوة الخامسة:

نربط بين هذا الترجيح وبين ضآلة الاحتمال التي قرّرناها في الخطوة الثالثة. ولمّا كان الاحتمال في الخطوة الثالثة يزداد ضآلةً كلّما ازداد عدد الصُدف التي لا بدّ من افتراضها فيه – كما عرفنا سابقاً –، فمن الطبيعيّ أن يكون هذا الاحتمال ضئيلًا بدرجةٍ لا تُماثلها احتمالات الخطوة الثالثة في الاستدلال على أيّ قانون علميّ، لأنّ عدد الصُدف التي لابدّ من افتراضها في احتمال الخطوة الثالثة هنا أكثر من عددها في أيّ احتمال مُناظر، وكلّ احتمال من هذا القبيل فمن الضروريّ أن يزول.

وهكذا نصلَ إلى النتيجة القاطعة:

وهي أنّ للكون صانعاً حكيماً، بدلالة كلّ ما في هذا الكون من آيات الاتّساق والتدبير.

ستيفن هوكينغ:

«كلامي مجرّد فرضيّ لا يُمكن اختباره»

د. عبد الله زيعور

وفق آخر مُعطيات الفيزياء الحديثة، شكّلت حقيقة الانفجار العظيم أو «البيغ بانغ» إجماعاً تسالم أهل الفيزياء والفلك على حقيقة حصوله، وأنَّ للكونِ بداية وهذه البداية تعقبها نهاية، وأنّ القراءة في نتيجة الانفجار العظيم تُطيح بمقولة أزليّة المادّة، وأزليّة الكون، وتنسف أركان الفلسفات التي كانت قائمة على المادّة كأصل، وفي عام 2014م جاء رصد الموجات المتبقية من الانفجار العظيم، ليضع أهل الفيزياء أمام مشهد في منتهى الوضوح: لا سبيل لتجاوز حقيقة البداية للكون أوّلاً، وثانياً، لا سبيل لأهل الخبرة من تجاوز معادلة: يقينٌ علميّ بالبداية والخلق وفق «البيغ بانغ»، مقابل نظريّة هوكينغ «الأكوان المتعدّدة»، المثقلة بالاحتمال والخيال والافتراض، والتي يقول عنها هوكينغ كلاماً تتنصَّل منه الفيزياء وكلّ المنهجيّة العلميّة مثل: «إنَّ قوى الجاذبيّة هي التي تخلق الكون» أو قوله: «ما دام يُوجد قانون كالجاذبيّة، فالكون يخلق نفسه من لا شيء»، والخلق التلقائيّ هو سبب وجود شيء بدلاً من لا شيء.. وعليه ليس لازماً أن نُقحم إلهاً للكون، ولكن عندما يقول: «كلامي مجرّد فرض لا يمكن اختباره» فهذا يؤكّد اعترافه بعجز نظريّته عن أن تقدّم شرحاً علميّاً لخلق الكون.

إنّ القراءة في نتيجة الانفجار العظيم تُطيح بمقولة أزليّة المادة

والواقع أنّ نظريّة الأكوان المتعدّدة، تُعاني نقطة ضعف قاتلة، وهي افتقارُها إلى التجربة، واستحالة خضوعها لأجهزة القياس، عندما تشرح أموراً عن أكوان مُتعدّدة لا نراها، بل ليس بمقدور أجهزة القياس الأعظم في العالم وفي تاريخ الفيزياء أن تؤكّدها. وإنّما تُقدّم قراءة ذاتيّة شخصيّة في معادلات تحمل عدداً يُغيّر حلًّا خياليّاً من الحلول: 10^{500} حلًّا، والزعم أنّ كلّ حلّ من هذه الحلول يُعادل كوناً يختصّ به!!

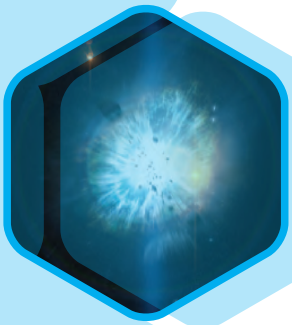

لقد كان الادّعاء بنتائج الأكوان المتعدّدة وتحديداً الفلسفيّة منها، والتي تُعبّر عن وجهة نظر خاصّة يجري تسويقها على أساس أنّها الحقيقة العلميّة الوحيدة افتئاتاً على العلم التجريبيّ، وهو ليس العلم الذي نعرف، وحسبهم أنّ مقاييس الحصول على جائزة نوبل لا تنطبق عليهم، لأنّ ما قُدِّم يُعتبر نظريّة لا سبيل لتأكيدها..

وبالعودة إلى كتاب هوكينغ «التصميم العظيم»، فإنّنا نتلمّس فيه حشواً مقصوداً بكلام عن تاريخ مُستغرب للعلم، ونظريّات فلسفيّة تبحث عن أسواق لتصريفها، وإكثار مُستهجن للرسومات الكرتونيّة، التي ملأت الكتاب الذي يخلو من أيّ مرجع علميّ، أو أيّ معادلة رياضيّة، كما أنّ الزجّ بأساطير مُضحكة للأديان الوثنيّة في أدغال أفريقيا وصحاري أستراليا، مروراً بديانات الهنود الحمر، وأساطير أخرى قديمة، وانتهاءً بقصّة الخلق في الكتاب المقدّس، وقصّة صِدام العلم مع الإنجيل، حيث يُمعن في السخريّة منها، تورية

وتصريحاً، ليصل إلى نتيجة: إنَّ الدّين لا أمل منه ولا فائدة منه، وفي ذلك تناسٍ مُتعمّد لموقع العلم في الإسلام، والحثّ على طلبه ووُجوب المُضي في تحصيل أسبابه، وفي ذلك أيضاً سقطة، نزعت عن كتابه الموضوعيّة والدقّة، وشروط الحد الأدنى للبحث العلميّ، شأنه شأن الغرب كلّه، في الافتئات على الإسلام والتحامل عليه، وتغييب رُؤاه الفلسفيّة، التي تُعلي من شأن الإنسان ولأجل الإنسان، والتي تصلح أن تكون نموذجاً يقدَّم للإنسانيّة الحائرة اليوم.

لقد كان هوكينغ واثقاً بقوله: إنّ كلّ ما هو موجود نُفسّره بما يُسمّى: قوانين الطبيعة التي تحوي كلّ القوى وكلّ المبادئ التي تقود العالم المادّيّ. لكن وفي وقفة مُتأنيّة أمام هذه المقولة، نقول؟ ما دامت قوانين الطبيعة هي سبب الوجود، ينبغي إذاً أن تكون موجودة قبل نُشوء الأكوان، وحيث إنّ الفضاء والزمان هما من أبعاد الكون الموجود، فقوانين الطبيعيّة يجب أن تتموضع خارج الفضاء والزمان وهما من أبعاد الكون الموجود، إنّ قوانين الطبيعة، كمصادر لا نهائيّة للزمن المحدود وللفضاء المحدود، يجب أن تكون أزليّة: نحن إذاً أمام طاقة لا نهائيّة، مجرّدة، غير فيزيائيّة، خارج حُدود الزمان والمكان، وبالكامل أوجدت الكون، وستيفن هوكينغ يُفضّل أن يُعبّر عن الخالق غير المتناهي بقوانين الطبيعة، ولكنّ هذا لا يمنع غالبية الناس

> **إنّ الفيزياء الحديثة تجد الله تعالى من جديد عبر معانٍ مُتعدّدة، منها ما قبل الانفجار العظيم وما بعده، على نحوٍ لا تُسمّيه الفيزياء بأفضل من كلمة «خلق».**

نحن هنا لسنا في موقع النيل من العلم ومسار العلم، لأنّنا من دُعاة ترك المسار العلميّ ينطلق ودون أيّ عقبات أو تدخّلات شخصانيّة أو تسويق لدعايات فلسفيّة، ونحن بالأصل من ضحايا هذا الخلط بين الرأي العلميّ والرأي الشخصيّ، لا بل إنّ مشكلتنا مع هوكينغ هي في تجاوزه الحقائق العلميّة وإصداره لآراء شخصيّة بحتة لا شأن للعلم بها، والزعم أنّها من العلم، وقد ذهب بعيداً بقوله: إنّ من يُعارضه فإنّما هو عدوّ للعلم، وفي الموقع نفسه؟ مع القبائل البَدائيّة في أدغال أفريقيا. وهذه دكتاتوريّة فكريّة وقمعٌ للرأي الآخر.

الصدفة وتفسير حركة الكون

في المقابل، فإنّ علماء الفيزياء والفلك، وفي أكثر مدارس الفيزياء الحديثة، باتوا مُقتنعين بأنَّ الكون يعمل بهدي وإيقاع مُنتظم، تُشرف عليه قوّة راشدة وعاقلة، وكأنّ ثمّة دافقاً؟ سرّيّاً يقود حركة المادّة الصمّاء نحو الأرقى، ونحو النظام والتناظر والوعي الدقيق لحركة الوجود.

وفي الجانب الآخر أكدّت قوانين الرياضيّات وتحديداً قوانين الاحتمالات فيها، استحالة الصُّدفة وعجزها كسبيل لتفسير حركة الكون الرائعة في الإبداع والنظام الدقيق في العوالم المتناهية في الصغر وفي الكبر، فيما يقود الغوص في أعماق المادّة إلى اللامادّة، وإلى المفهوم والوعي المجرّد الذي يُفيد أنّ المادّة ليست الحقيقة المطلقة، وأنّ العقل هو الأساس والمنطق. ولن نترك المسألة تنتهي عند أقوال جهابذة الفيزياء الثوريّة الحديثة، بل سنعود إلى كلام رائع ذكره أحد عمالقة الفيزياء وهو «إسحق نيوتن» الذي يذهب في قراءة الطبيعة من وجهة العلّة الأولى، ليصل إلى فكرة القوّة الإلهيّة الضابطة للحركة في الوجود، حيث يقول في إحدى رسائله العلميّة عام 1692: «إنَّ حركات الكواكب الراهنة لا يُمكن أن تكون قد انبثقت من أيّ علّة طبيعيّة فحسب، بل كانت مفروضة بقُوّة عاقلة».

إنّ القوانين الكامنة في الذرّة، هي عينُها الحاكمة بين المجرّات الهائلة في الكون، فوحدة القوانين إشارة تغدو معها الصُّدفة خيالاً، وإنّ الفيزياء الحديثة تجد الله تعالى من جديد عبر معانٍ مُتعدّدة منها ما قبل الانفجار العظيم وما بعده، على نحو لا تُسمّيه الفيزياء بأفضل من كلمة «خلق».

د. عبد الله زيعور

- أستاذ فيزياء الطاقة في الجامعة اللبنانية.
- دبلوم في الطاقة الشمسية.
- دكتوراة في فيزياء الطاقة الشمسية في فرنسا 1988.
- له مؤلفات في الفيزياء وفي فلسفة العلم ونشأة الكون.
- محكّم أبحاث في مجلة علمية عالمية.

من خلق الله؟

جعفر الحاج حسن

سؤال يطرحه كلّ إنسان في لحظة من لحظات حياته بدافع حبّ الاستطلاع والمعرفة، وقد حوّل الملحدون هذا السؤال إلى إشكاليّة تؤيّد وجهة نظرهم، فإذا كان التصميم الذكيّ المفترض في الكون دليلاً على وجود الله، فهذا يعني أنّ لكلّ شيء سبباً، فمن هو السبب الذي أوجد الإله؟

وقد عبّر عن ذلك الفيلسوف البريطانيّ الملحد برتراند رسل بقوله: «إذا كان ينبغي أن يكون لكلّ شيء سبب، إذاً، ينبغي أن يكون للإله سبب، وإذا كان من الممكن أن يكون هناك إله بدون علّة أو سبب، يمكن إذاً أن يكون العالم بدون علّة أو سبب، مثل الإله تماماً»[1].

والسؤال مشروع، لكن، هل لكلّ سؤال جواب؟

في الواقع، لا جواب صحيحاً لسؤال غير صحيح.

وسؤال: من خلق الله؟ خاطئ وينطوي على مغالطة منطقيّة، لأن هذا السؤال يفترض أنّ الله مخلوقٌ، وكلمة «مخلوق» – لو أردنا التفنّن اللغويّ – على وزن اسم مفعول، وهي تدلّ على من وقع عليه فعل الفاعل، والله ليس مخلوقاً، فلا يسأل عن فاعله أي الخالق، وإلّا فلو كان ما أطلق عليه اسم «الله» مخلوقاً لما كان هو الله حقيقة، كما هي الحال في كائنات

> سؤال «من خلق الله» خاطئ وينطوي على مغالطة منطقيّة.

كثيرة أطلق عليها الوثنيّون اسم الإله كالشمس والقمر والصنم والبقرة...

فكلّ ما افترض أنّه مخلوق فهو ليس الله، لذا، إنّ السؤال عمّن خلق الله هو أشبه بأسئلة: من مَشْمَشَ التفّاح؟ (أي من جعل التفاح مشمشاً، مع أنّ التفاح هو التفاح وليس المشمش!!) ومن حَلْوَنَ الملح؟ (أي جعل الملح حلواً مع أنّ الملح هو الملح وليس السكر!!) ومن لبنن الحديد؟...إلخ.

أمّا المغالطة المنطقيّة الثانية، فهي أنّ هؤلاء الملحدين قد حرّفوا قانون السببيّة عن مدلوله ومعناه، وذلك بتبديل موضوع القضيّة بموضوع آخر، فقانون السببيّة يقول: كلّ معلول له علّة، أو كلّ مسبَّب له سبب، في حين أنّه كما لاحظنا في كلام برتراند رسل بدّل مفردة معلول بكلمة أخرى وهي: «شيء»، فقال: «كلّ شيء له علّة»، إلّا أنّ العقل لا يرى أنّ كلّ شيء يجب أن يكون له علّة، بل يرى أنّ كلّ معلول له علّة، لأنّ المعلول عبارة عن الشيء الذي يحتاج في وجوده إلى مؤثّر خارجيّ يعطيه الوجود ويخرجه من اللاشيئيّة إلى الواقع.

ولو سألنا العقل: هل يمكن أن نفترض شيئاً هو علّة وليس معلولاً؟

1- لماذا لست مسيحياً؟ ص: 12.

لأجاب بأنّه يجب أن يكون هناك شيء هو علّة وليس بمعلول.

لماذا؟ لاستحالة التسلسل في الأسباب والمسبّبات لا إلى نهاية، إذ لا بدّ من الوقوف عند مسبِّب ليس وراءه سبب.

والسبب في توقّف الموجودات حتّى الأسباب منها عند مبدأ معيّن، هو أنّه لو لم يكن هناك موجود غنيّ بنحو لا يحتاج إلى موجود آخر أسبق منه، لما وجد شيء في الكون، لأنّ كلّ سلسلة الوجود تكون حادثة ومحتاجة، لكنّه قد وجد شيء في الكون، إذاً يوجد موجود غنيّ.

كما أنّ انقطاع سلسلة العلل عند علّة أولى ممّا يحكم العقل بضرورته لاستحالة

التسلسل في العلل الفاعليّة لا إلى نهاية، إذ كلّ ما بالعرض لا بد أن ينتهي إلى ما بالذات، فلو كان هناك طعام مالح فيسأل من يأكل منه عن سبب ملوحته، فيقال قد أضيف إليه الملح، لكنّه لن يسأل عن سبب ملوحة الملح، لأنّ الملوحة ذاتيّة له.

فميزان حاجة الشيء إلى علّة ليس عنوان أنّه شيء أو موجود، حتّى يكون كلّ موجود معلولاً، بل معيار الحاجة هو إمّا الإمكان [بمعنى تساوي نسبة الشيء إلى الوجود والعدم بنحو لا يكون أحد الطرفين أولى به من الآخر على نحو ذاتيّ] وإمّا الحدوث [بمعنى كون الشيء مسبوقاً بالعدم]، وبالتالي على فرض صحّة أنّ كلّ موجود يحتاج إلى علّة، يكون ليس مطلق الموجود بحاجة إلى علّة بل الموجود المقيّد بوصف الإمكان أو الحدوث، فيكون مفاد القاعدة كلّ موجود ممكن أو حادث محتاج إلى علّة.

وقد اعتمد الأب كوبلستون في حواره مع برتراند رسل لإثبات وجود الله على حجّة تتناسب مع ماذكرناه، حيث قال له: «إنّنا نعرف أنّ هناك على الأقل أشياء في العالم لا تتضمّن بذاتها سبب وجودها، مثال على ذلك، أنا أعتمد على والديّ، والآن على الهواء، وعلى الطعام وهلمّ جرّاً. ثانياً، الآن ببساطة العالم هو الكلّ الحقيقيّ أو المتخيّل، أو المجموع الكلّيّ لأشياء مفردة، لا شيء يتضمّن بمفرده سبب وجوده، ... طالما أن الأشياء أو الوقائع موجودة، وطالما أنه ما من شيء خبرناه يتضمن سبب وجوده بحد ذاته، فإن هذا السبب أو المجمل الكلي للأشياء يجب أن يكون له سبب خارج عن ذاته. ذلك السبب يجب أن يكون كائناً موجوداً، حسناً، هذا الكائن إمّا أن يكون هو ذاته سبب وجوده أو لا يكون، فإن كان، خير وبركة، وإن لم يكن، إذن، يجب أن نتقدّم أبعد، لكن إذا ما تقدّمنا إلى ما لا نهاية بهذا المعنى، فلن يكون هنالك تفسير للوجود على الإطلاق. لهذا، يمكن القول، لكي نفسر الوجود، إن علينا أن نتوصل إلى الكائن الذي يتضمّن بحدّ ذاته سبب وجوده، أي بمعنى آخر، الكائن الذي لا يمكن أن لا يوجد»[1].

الخلاصة: إنّ الموجودات في العالم على قسمين: القسم الأول: موجودات حادثة محتاجة وفقيرة لا تملك من ذاتها أن تمنح نفسها الوجود، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يمكن للفقدان أن يكون مبدأ للوجدان والخروج من فراغ العدم إلى واقع الوجود؟! والقسم الثاني: موجود غنيّ ذاتاً لا يحتاج في وجوده إلى موجود آخر، ولو لم يكن هذا الموجود المفترض موجوداً لما تحقّق شيء في العالم أصلاً.

وبهذا يتّضح ما في قول رسل: «وإذا كان من الممكن أن يكون هناك إله بدون علّة أو سبب، يمكن إذاً أن يكون العالم بدون علّة أو سبب، مثل الإله تماماً» من بساطة وسذاجة، إذ هذا قياس مع الفارق.

وأخيراً نسأل بدهشة واستنكار:

كيف يرتضي الملحد أن تكون المادّة التي تتميّز بخصائص التغيّر والتحوّل والنقص والمحدوديّة... أزليّة ومستغنية عن الموجِد والسبب؟!! في حين أنّه يريد أن يكون هناك سبب وعلّة للإله – المفترض أنّه يتميّز بالغنى والكمال المطلق واللاتناهي – أسبق منه في الوجود؟!!

إنّ الاعتقاد بأنّ الغني المطلق قديم وأزليّ وغير محتاج إلى العلّة والسبب أهون خطباً عند العقل من الاعتقاد بأنّ الناقص الحادث المتغيّر غير محتاج إلى العلّة والسبب.

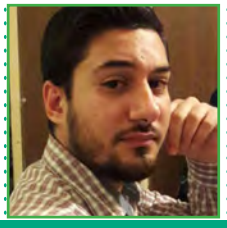

جعفر الحاج حسن
ماجستير فقه ومعارف

1- رسل، برتراند، لماذا لست مسيحيّاً؟ الفصل الثالث عشر، وجود الإله مناظرة بين برتراند رسل والأب كوبلستون، ص: 205.

النيو - داروينيّة

علم أم إيديولوجيا؟

فاطمة عبد الله

لطالما شغل سرُّ الحياة فكر الإنسان، وفي خضم هذا الانشغال الفكري تتولّد الأسئلة، وكلما تعمّق نظر الإنسان في الكائنات المتعدّدة المحيطة به تزيد دهشته، وقد عرف التاريخ الفكري للحضارة البشريّة نوعين من الفلسفة: الفلسفة الإلهيّة، التي ترى أنّ هذا العالم يدُّل عن وجود خالق له، والفلسفة الماديّة التي أرجعت وجود العالم إلى الصدفة أو الانفجار الكوني للمادة الأولى، وكيفما كان، فلا حاجة إلى فرضيّة وجود خالق!؟

وقد آمنت الفلسفة الماديّة بالمنهج التجريبي، المبني على الملاحظة الحسيّة، كطريق حصري لاكتشاف الحقائق، وأدخلت العلوم التجريبيّة في دائرتها قصراً، لتصطنع حالة من التناقض بين العلم والدين، وفي هذا السياق من صراع الثُّنائيّات، أُدخِل علم الأحياء (البيولوجيا) إلى ساحة الصراع المفترضة بين العلم والدين، حيث تمّ تصوير البيولوجيا على أنها علمٌ لا ديني، وقد نالت نظريّة التطوّر الحظ الأوفر في ذلك.

> حاول أصحاب نظريـة التطور التأكيد على أن العلـم هـو في مواجهة الدين، في حين نجد العلم في مواجهة العلم نفسـه.

لقد حاول أصحاب نظريّة التطوّر، التأكيد على أنَّ العلم في مواجهة الدين، في حين نجد العلم في الحقيقة في مواجهة العلم نفسه، وقد، ترك التوظيف الأيديولوجي بصمته على هذه النظرية عندما استعلمت كدليل على نفي وجود الخالق، لاسيما بعد تطورها في ظل الاكتشافات التي حصلت في ميداني الوراثة والبيولوجيا الجُزيئيّة، أو ما عُرف بالداروينية الجديدة.

إنّ الحُكم على أيّ علم تجريبي، ومن ضمنه البيولوجيا، بكونها علماً لا دينياً، يكون بتناول هذا العلم بالدراسة من أبعاد ثلاثة، التاريخي، والمنهجي، والبنيوي، وفي مُعالجتنا لنظريّة التطوّر، سنركز على البُعد الثالث، الذي يعني النظر في هندسة العلم، لمعرفة مدى انسجامه الداخلي، وعدم تعارضه مع أدلة علمية أخرى، تقود إلى نتائج مُغايرة، وبعدها نُصدر الحُكم النهائي، هل هو ديني أو لا ديني.

لم تُفلح الداروينية بأشكالها المختلفة في الدفاع عن نفسها، ليس أمام الإشكالات التي أثارها المُتدينون، بل أمام وجهات النظر

العلمية الأخرى المقابلة لها، والتي تقود إلى نتائج مُغايرة، تُبطل أُسس الداروينية، خصوصاً القول بالطفرة العشوائيّة والنُّشوء الطبيعي التّدريجي.

أولًا: الصّدفة والطّفرات العشوائيّة

يتكوّن جسم الإنسان من نوعين من الخلايا، الخلايا الجسميّة التي تبني مُختلف أنسجة الجسم وأعضائه، والخلايا الجِنسيَّة، ومهمتها تحقيق التكاثر. وكل خلية جِسمية وجِنسية تحتوي على مادة

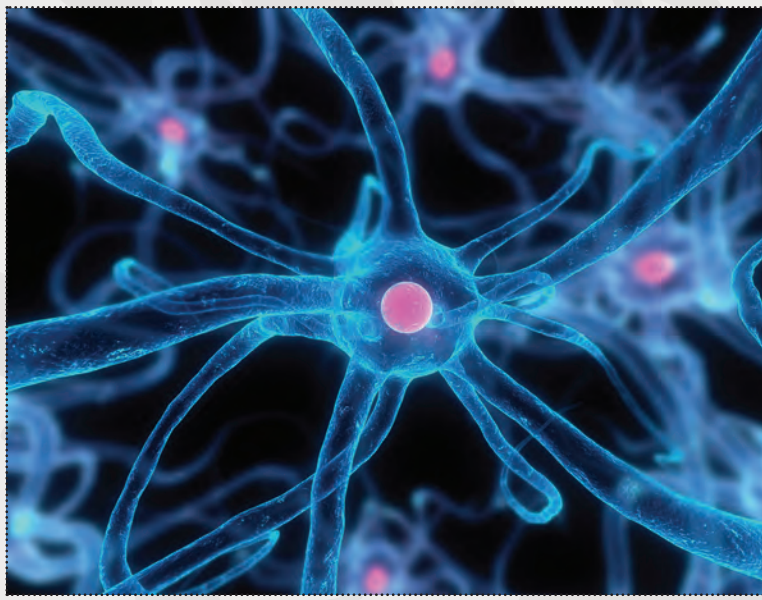

وراثية تسمى (DNA)، محفوظة داخل نواتها. وهذه المادة الوراثيّة تحمل جميع المعلومات اللازمة لبناء الجسم، حيث يتمّ ترجمة هذه المعلومات من خلال آليات ومراحل حيوية مُعقدة، تبدأ من نسخ المعلومة الوراثيّة من (ADN) إلى شكل (ARN)، ثم ترجمتها من (ARN) إلى بروتين مكوّن من سلسلة من الأحماض الأمينية. وهذا البروتين بدوره يشكل ويبني الخلايا والأنسجة، والتي تبني بدورها الأعضاء التي تبني الجسم كله. هذه المعلومة الوراثيّة محمولة على أليلات Alleles تظهر في شكل كروموسومات.

> أمام التعقيد المتفرّد لقواعد DNA في بنائها وتراتبها والشيفرات التي تحملُها، أثبت حساب الاحتمالات أنه لا يُمكن تكوين بروتين واحد عن طريق الصدفة.

هذا شرح مختصر لآلية تركيب البروتين في الجسم، والذي يعتبر العنصر الأساس في تركيب الخلايا، مع الإشارة إلى أنّ كُل بروتين مُكوّن من سلسلة من الأحماض الأمينية المتفردة في العدد والترتيب، بحيث لو تغير عددها أو اختلف ترتيبها فلن يتكون البروتين المُحدد.

أمام هذا التعقيد المُتفرد (Specified complexity) لقواعد DNA) في بنائها وتراتبها والشيفرات التي تحملها، أثبت حساب الاحتمالات، أنه لا يُمكن تكوين بروتين واحد عن طريق الصُّدفة.!؟

وهذا ما صرّح به ويليام ستوكس (William Stokes)[1] بقوله: «لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض، وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين، فلن نحصل على بروتين واحد»[2].

ثانياً: النّشوء التّدريجي

ردّ العالم الكيميائي مايكل بيهي[3] نظرية التطور وفق الطفرات الجينية، بنظرية التعقيد غير القابل للاختزال The Irreducible Complexity، التي شرحها في كتابه صندوق داروين الأسود (Darwin's black box)، وردّ فيها على نظرية داروين، تحديدًا في التطور التدريجي للكائنات، حيث تمكّن من إثبات وجود كائنات تقوم بوظيفتها بأجزائها مُجتمعة، ولا وجود لها قبل أن تجتمع أجزاؤها التي تتكوّن منها بأجمعها، ولو فُقد جُزء واحد من هذه الأجزاء تلاشت الوظيفة بالكُلية. واستدل على هذا الأمر بالتعقيد المشهود في السوط البكتيري (Flagellum). فبعض أنواع البكتيريا تمتلك بنية سطحية (السوط)، يُساعدها على الحركة في المحيط السائل. هذا السوط البكتيري يتكون من مئتي جزء بروتين بالغ التعقيد، إذا حلّ أحدها مكان الآخر أو اختفى أحدها، فلن تظهر منظومة السوط البكتيري كليًا.

وهناك اكتشاف علميٌّ آخر، وقف في وجه الداروينية في إثبات التطور التدريجي للكائنات، وهو الانفجار الكمبيري (The Cambrian explosion)، الذي يُشير إلى الظهور الجيولوجي

1 – ويليام ستوكس (1 أكتوبر 1804 – 10 يناير 1878)، طبيب ايرلندي، وهو أستاذ ريجيوس فيزيك في جامعة دبلن.

2- Wendell R. Bird. the Origin of Species. p.305

3 – عالم كيمياء حيوية أمريكي، مؤلف، ومناصر للتصميم الذكي. يشغل حالياً منصب أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة ليهاي في بنسلفانيا ويعمل كزميل بارز في مركز للعلوم والثقافة تابع لمعهد دسكفري.

المُفاجئ لحيوانات متعدّدة الخلايا في السّجل الحفري في العصر الكامبري. والقول بأنّ الحياة الحيوانية ظهرت فجأة بالمعنى الجيولوجي، يعني الغياب لأي وساطات انتقالية تربط حيوانات العصر الكمبري بالغة التعقيد بأشكال الحياة البسيطة جداً في الطبقات الصخرية السابقة للكامبري. وقد عبّر الباحث هارون يحيى عن هذا الأمر في كتابه «خديعة التطور» بقوله: «مُنيت النظريّة الداروينية الجديدة بالهزيمة من قِبل سجل الحفريات أيضاً إذ لم يُعثَر قط في أي بقعة في العالم على أي من الأشكال الانتقالية، التي من المُفترض أن تُظهر التطوُّر التدريجي للكائنات الحيَّة، من الأنواع البدائية إلى الأنواع المتقدمة حسبما تزعم نظرية الداروينيين الجُدد. وفي الوقت نفسه، كشف التشريح المقارن أن الأنواع التي يُفترض

> مُنيَت النظرية الداروينية الجديدة بالهزيمة من قِبَل سجلّ الحفريات أيضًا، إذ لم يُعثَر قطّ في أي بقعة في العالم على أيّ من الأشكال الانتقالية، التي من المفترض كان تُظهر التطوّر التدريجي للكائنات الحيّة.

أنها تطوَّرت بعضها من بعض تتّسم - في الواقع - بسمات تشريحيَّة مختلفة تماماً، أو أنها من غير الممكن أبداً أن تكون أسلافاً أو خُلفاء لبعضها البعض»[1].

حتى إنّ ريتشارد دوكنز، وهو من أكبر مناصري نظرية التطوّر، علّق على هذه الحقيقة التي تُبطل أسس الحجج التي يدافع عنها بقوله: «على سبيل المثال، تُعتبر طبقات الصخور الكامبرية (التي يبلغ عمرها حوالي 600 مليون سنة) أقدم الطبقات التي وجدنا فيها مُعظم مجموعات اللافقاريات الأساسيّة. ولقد عثرنا على العديد منها في شكل متقدم من التطوّر في أول مرّة ظهرت فيها. ويبدو الأمر وكأنها زُرعت لتوّها هناك، دون أن تمرُّ بأي تاريخ تطوري. وغني عن القول أنّ مظهر عملية الزرع المفاجئ هذا، قد أسعد المؤمنين بالخلق»[2].

1- خديعة التطور، الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، هارون يحيى، ص 34.

2- Richard Dawkins. The Blind Watchmaker. London: W. W. Norton 1986. p. 229

مادامت نظريّة التطوّر موضوعة على طاولة البحث بالرد والنقد، لاسيما أنَّ بعض هذه الردود تتّحد معها منهجاً، فأول ما يُمكن قوله: لا يصحّ اعتبار علم الأحياء من العلوم المخالفة للأديان، أو أنّه علم يدعم الإلحاد. إنَّ المشكلة لا تكمن في قبول التطور أو الطفرة من

الناحية العلميّة، وإنّما في تحميل هذه الفرضيّات والآراء العلميّة ما لا يُمكن لها أن تحمله، والاستدلال بها على ما لا يُمكن لها أن تكون دليله. فلو تمكن العلم من إثبات التطور من خلال طفرات عبر التوريث الجيني، فإنّه لن يلقى اعتراضاً على أدلته، لكن إرجاع هذا الأمر إلى حركة عشوائيّة لموضوع في غاية التنظيم والدقة، فإنّ ذلك من الأمور التي لا يُمكن للعلم أن ينفيها..!؟

فاطمة عبد الله
دبلوم في علوم الحياة وماجستير في علم الكلام

البروفسور

خليل أحمد خليل

مترجم موسوعة «لالاند» الفلسفية

«نحن ذاهبون باتجاه نهضة كبيرة جداً»

ريحانة زعيتر

على منضدة خشبيّة متواضعة، مطلّة على شبّاك يدخلُ منه هواءُ شجرةِ الكينا العتيقة، يجلس خليل أحمد خليل في شقّته الكائنة في أحد أحياء بيروت. تقبع خلفه وعلى امتداد حائط الصالة، طولاً وعرضاً، مكتبةٌ تعبِق منها رائحةُ الكتب القديمةِ ممزوجةً بتلك الجديدة. تحتضن اثنين وستين مؤلّفاً من رصيده، وتسعاً وستين ممّا عَمَد إليه من المعرّبات، إضافةً إلى موسوعة لالاند الفلسفيّة.

كشاهدٍ من الزمن الجميل نجا، تتمركز قرب المنضدة كنبةٌ صغيرةٌ لم تصِبها الحداثة. جلستُ عليها إلى جانب أستاذنا لنغوص معاً في الذاكرة إلى بدايات السيرة ومحطّاتٍ أساسيّة من التجربة. فتأسّى خليل أحمد خليل حينًا وبكى تارةً، وشعر بالعزّ والفخر طورين.

وفيما يلي نصّ المقابلة:

من هو خليل أحمد خليل؟

هو لا يعرف، لكنه تعلّم أن يعرف أين يكون. ولدت في 12 تشرين الثاني عام 1942 في بيت أحزان. لأنّ أمي صُدِمت بموت اثنين من إخوتي. كنت ابن مدينة صور الذي نشأ في القرية، فتقريّت. أي تعوّدت على الكرم الريفيّ والحياة الكريمة، وأنّ الكرامة فوق كلّ اعتبار، والأمانة أيضاً. فقد عشتُ المرحلة الثانية من طفولتي مع جدّتي سعدى الشاميّة في بلدة قانا، وفي المرحلة الثالثة من الطفولة ترعرعت في كنف عمّتي ميلاء.

تعلّمتُ في مدرسة الإنكليز في صور، وهي من أقدم الإرساليّات في المدينة. ثمّ تلقّيت تعليمًا قرآنيّاً في كنف عمّي الشيخ محمّد علي الصايغ، ودرستُ قواعد النحو الآجرّوميّة. فتعلّمت الفصاحة واللفظ العربيّ المتين. ثمّ دخلت مدرسة حناواي الرسميّة، وتعلّمت فيها اللغة الفرنسيّة في الصفّين الأول والثاني من المرحلة الابتدائيّة. عُدت إلى والدي في صور وعمري عشر سنوات وتسجّلت في المدرسة الجعفريّة. وهناك أنهيت الشهادة الرسميّة.

كشأن كلّ العامليّين، جئنا من قاع الفقر. الأمر الذي أعطانا نوعاً من الصلابة والقوّة والفصاحة، والاعتماد على النفس، كانت حياتنا مقاومة وكدحاً. كما أنّنا عشنا في بيئة منفتحة على جوارها. وقد عشنا النكبة، والهجرة الفلسطينيّة. وكنّا شعباً واحداً بقضيّتين متشابهتين.

هل كنتم واعين بأنّكم جزءٌ من قضيّة كبيرة؟

نعم، من خلال المدرسة الجعفريّة التي كانت تحتضن أحزاباً متعدّدة، وحركات سياسيّة، حركة البعث والقوميّ السوريّ والقوميّين العرب والشيوعيّين. كلّها كانت موجودة في مدارس مدينة صور وسرعان ما وعينا القضيّة.

متى كان أول نشاط سياسيّ في حياتك؟

أوّل خطاب سياسيّ كتبته في حياتي كان عام 1956 في الرابعة عشرة من عمري . قلت للناظر في المدرسة الجعفريّة أريد أن ألقي كلمة بمناسبة الثورة الجزائريّة وذكرى وعد بلفور. فطلب من الصفوف أن تنتظم في الملعب. وألقيت كلمتي. كنّا نتدرّب في المدرسة على الخطابة. وفي الجامع على الاصطفاف والانضباط والثبات.

كيف عاش خليل أحمد خليل مراهقته؟

لقد كنتُ شقيّاً، لدرجة أنّني رسبت في الدورة الأولى في صفّ البروفيه. لكنّها كانت بمثابة صدمة إيجابيّة. فقد عاقبت نفسي بالذهاب الى مدرسة داخليّة في بحمدون – المعهد العربيّ. فالذكيّ من يحاسب نفسه. والنقد الذاتيّ نوع من الذكاء.

الواقع أنّ جيلنا تشكّل من قوّة جاءت من صلابة المعاناة. ومأساة الحسين حاضرة في ذهننا جميعاً. فكيف يتربّى المرء على مأساة كهذه ولا يكون تراجيديّاً وبطوليّاً في حياته.

في تلك السّنة درست صفي الأول الثانويّ والثاني الثانويّ في عام دراسيّ واحد. وعُدت إلى صور قبل انتهاء العام الدراسيّ. وكنتُ الوحيدَ الذي نجح في امتحانات البكالوريا؛ القسم الأول.

وبعدها درست الفلسفة في صيدا. وعلى الطريق ذهاباً وإياباً قرأت 57 كتاباً. هكذا أمضيت مراهقتي.

ما هو أوّل كتاب قرأته؟

أوّل كتاب قرأتُه عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري، وكان لـ «نهرو»: «لمحات من تاريخ العالم». وكتاب آخر لصبحي محمصاني: «الأوضاع التشريعيّة في البلاد العربيّة».

هل أثّرت باكورة قراءاتك في توجّهاتك الفكريّة والسياسيّة؟

أثّرت طبعاً في مرحلتها، هذان كتابان من 1500 كتاب تقريباً قرأتهم في حياتي.

لو كان لديك الفرصة لتغيير شيء ما مرّ في حياتك فماذا سيكون؟

لا أغيّر شيئاً بل أقوم بأشياء جديدة.

ما أكثر ما يشعرك بالفخر؟

أنا إنسان متواضع، لكن تسعدُني إنجازاتي. وأوّلها ترجمة «موسوعة لالاند الفلسفيّة». من خلال هذه الموسوعة حاولنا نقل العقل الأوروبيّ والعقل العالميّ إلى اللغة العربيّة. لكن المؤسف أنّ العرب لم يجهزوا بعد. لكنّي على يقين أنَّ ما نقوم به الآن سيُؤتي ثماره بعد حوالَى خمسين سنة أو مئة سنة تقريباً. لأنّ هذه البلاد سوف تحترق، هذا العفن كلّه سوف يزول.

أمّا في المؤلّفات، فأنا سعيد بإنجاز مجموعة كتب تأسيسيّة مهمّة: «مضمون الأسطورة في الفكر العربيّ»، «المرأة العربيّة وقضايا التغيير». وكتبي «العقل في الاسلام» و«عقل العلم» و«عقل الوهم» هما الخلاصة والاكتشاف.

هل جهد موسوعة لالاند جُهد شخصيّ أم بالتعاون مع مؤسّسات؟

لقد كانت جُهداً شخصيّاً. مكثت فيه أربع سنوات بمساعدة

المرحوم أحمد عويدات صاحب دار عويدات. فهو الذي موّل المشروع بعد أن رهن شقّته بمئة مليون ليرة. وكان من المفترض أن يُشاركني الترجمة مجموعة من الأشخاص لكنّهم طلبوا أسعاراً خياليّة.

ما هو الكتاب الذي قرأته وهو المفضّل لديك؟

ليس لديّ كتابٌ واحدٌ قرأتُه إلّا القرآن. وما زلت أقرأه. وكما ذكرت، فأنا قد قرأت حوالَى 1500 كتاب. حيث أعمد إلى الكتاب فأتصفحه. أقرأه قراءة صحفيّة إذا لم يجذبني. وإذا كان من الروائع أقرأه مرّة ومرّتين وأحيانًا أكثر. أقرأ خمسين صفحة في الساعة.

كيف يمكن أن يقرأ أحدنا خمسين صفحة في الساعة!

من خلال التركيز. وللحصول عليه، لا بدّ من النوم باكراً والاستيقاظ باكراً. أنا أُعمِل ذهني من الخامسة صباحاً حتّى الثامنة. ثلاث ساعات وأتوقّف. هذان الأمران يُريحان الدماغ وتحصل من خلالهما على الشفافيّة. لأنّ الذاكرة إذا لم ترتح، لا تعطي.

ما العمل الذي أردت إنجازه ولم تتمكّن من تحقيقه بعد؟

الحمد لله، حقّقت كلّ طموحاتي. وأهمّها عائلتي.

ما المهارة التي أحببت أن تتعلّمها لكن لم تستطع؟

أحببت أن أكتب بخطّ أجمل من خطّي. وأن أتعلّم الرسم والتخطيط. ولديّ محاولات في الرسم.

لماذا اخترت ميدان علم الاجتماع؟

ميداني المعرفيّ واقع بين الفلسفة وعلم الاجتماع. دخلتُه لأنّي أُريد أن أفهم: موقع الإنسان وطبيعة وجوده في المجتمع.

هل فهمت؟

اكتشفت أنّ الإنسان كلّما رجع إلى الطبيعة وإلى فطرته كان ذلك أفضل له. وأنّ لأيّ إنسان في هذا

العصر الحقّ، في أن يكون أميّاً أو متخلّفاً أو فقيراً. فربّما سيكون أكثر سعادة، ويُعمّر أكثر.

مَن مِن المفكّرين كان له الأثر الأكبر في توجُّهاتك في مرحلة الشباب؟

كلّ يوم كان له شأنه وثقافته. في المرحلة السارتريّة، كُنت أدرس في الجامعة في فرنسا. بقيت مخدوعاً بها وبالوجوديّة، إلى أن قرأتُ كتاب سارتر: «تأمّلات في المسألة اليهوديّة» (1948). كان الكتاب بمثابة إعلان تأييد لإسرائيل. فشعرت بالغَبن؛ وتساءلت كيف نحن العرب نترجمُ له! وتفاجأت في الازدواجيّة: كيف هو مع ثورةِ الجزائر وحقوقِ الشعوب من جهة، ويؤيدُ استعمارَ فلسطين من جهةٍ أخرى؟ تأمّلت جيّداً في الكتاب فوجدتُه ردّاً على كتاب ماركس: المسألة اليهوديّة (1940). عندها طبعتُ كتاباً تحت عنوان: السارتريّة وتهافت السياسة والأخلاق. شعرتُ أنّي كشفتُه وأصبح ورائي.

وبعد مرحلة سارتر؟

أصبح لديّ القُدرة على النقد. أصبح العقل النقديّ لديّ متيناً لدرجة أنّني لم أعد أنبهر بأحد. دخلت بعدها في مرحلة أبحاثي في السوسيولوجيا، وبدأت بجمع الوقائع والحوادث.

هل كان ثمّة منعطف أساسيّ في حياتك؟

طبعاً. نحن جيل النكسة، عام 1967 كنت طالباً. ورأيت كيف تُقزّم الأيديولوجيّات والاعلام الأيديولوجيّ العدوّ. تلك الفترة كانت فترة نقد التجربة، للرئيس المصريّ جمال عبد الناصر، وللسياسات العربيّة.

بعدها جاءت الثورة الطّلابيّة في فرنسا عام 1968. وقد أدركت أثناءها أنّ العمل السياسيّ الفرديّ ليس له معنى. فإذا أردتَ أن تعمل في السياسة فعليك أن تنتمي إلى حزب. إذا لم يكن ثَمّةَ حزب، فلتؤسِّس حزباً لك.

تلك المرحلة كانت مرحلة كمال جنبلاط. وقد تعرّفتُ إليه. وجمعتنا حوارات ونقاشات مدّة ستة أشهر، انتسبت على

إثرها إلى الحزب. وعندما قُتِل، اعتزلتُ العمل السياسي، وتفرّغتُ للعمل الأكاديميّ. الواقع أنّ السياسة أصبحت خلفي.

ما هي أكبر مخاوفك على عقل الشباب العربي اليوم؟

يأتي الحديث هنا عن عقلِ الأجيال. هذا الجيل يواجه الحريق الذي سيتّسِع ليَشمَل كلَّ الأنظمةِ المُتعفّنة. هذا الحريق لا بدّ منه. ثمّةَ غابة سوف تحترق. من بعيد سوف تُخمّن أنّ الغابة احترقت وانتهينا. لكنّ جذوراً وبذوراً في الأرض، ستخرُج لتصنع المجد، عندما تمطر.

إلى ذلك، ثمّة مسألة مهمّة جدّاً لا يريد أحد أن يقرأها، مع أنّ مجموعةً من المُفكّرين الأوروبيّين أكّدوها. في الكتاب الذي ترجمتُه لتيري كوفيل: «إيران والثورة الخفيّة»، يقول كوفيل إنّ ما ستُحدِثُه الثورة الإسلاميّة في إيران حضاريّاً، سيكون في محيطها أخطر وأهمّ ممّا أحدثته الثورة الفرنسيّة في أوروبا. وكما نرى اليوم، أربعون سنةً من حصار الثورة لم يمنعها من أن تأخذ مداها.

ميشيل فوكو ذهب إلى طهران وعاش فيها مدّة ستة أشهر، وأكّد هذه النبوءة. إلّا أنّه يجري تجاهلُها في أروقةِ الفكر السياسيّ العربيّ. إذاً يكمن الخوف على الشباب العربيّ في التضليل والإيهام. هذا الجيل سيستمرّ إلى الثلاثينيّات من هذا القرن، وسيأتي بعده جيلٌ جديدٌ يشهدُ على واقعٍ آخر. وأنا في بعض مؤلّفاتي قد كتبتُ هذه الأفكار. إذا لم أكن حيّاً فقد كتبتُها للجيل القادم.

هذا يعني أنّك متفائل بمستقبل الشباب العربيّ؟

طبعاً. نحن ذاهبون باتّجاه نهضة كبيرة جدّاً. الأممُ الكبرى حتّى تنهض تحتاجُ إلى دورةٍ حضاريّةٍ طويلةٍ وعريضة. نحن نتحدّث عن مليار وخمسمئةِ مليون مسلم في العالم. عن جغرافيا ممتدّة في أفريقيا وآسيا وأوروبا.

الإسلام اليوم في ذروة العولمة. وبغضِّ النظر عن محاولات التشويه والتوهين التي يتعرّض لها، من خلال المجرمين الذين يوجِدونهم تحت عنوان «الإسلاميّون». هؤلاء سيحترقون في الغابة مع العفن.

ما دعوتك للشابّات والشباب اليوم؟

أدعوهم إلى استعمال عُقولهم. إلى أن يكونوا واقعيّين وصادقين ومعلوماتيّين، أي أن لا يبنوا آراءهم على الإشاعات، وأن لا يسمحوا لأحد بتضليلهم. كما أدعوهم إلى أن يتعلّموا ويُعلِّموا.

لم أعد أستطيع العيش مع أهلي

د. نبيل سرور

«هم لهم عاداتهم وأنا لي عاداتي .. لهم أفكارهم التي تصلح لزمانهم ولي أفكاري .. يُريدون إلزامي بما هم عليه من حال يُحاكي القِدَم والرّتابة والتقاليد التي عفا عليها الزمن، وأنا أريد أن أُواكب العصر بما فيه من علاقات وانفتاح وتقنيّات وبرمجيّات حديثة وتطوّر علميّ.. إنّني أعيش صراعاً عنيفاً مع جيل أهلي القديم، وحياتي معهم إن استمرّت على هذه الحال، فإنّها تتّجه إلى نفق مسدود ..»

يقولُ أحد الشباب

بالمقابل، يشرح أحد الآباء – بحُرقةٍ – الواقع الصعب الذي يُكابده مع ابنه الجامعيّ، والخلافات الكثيرة في وجهات النّظر، وفي مقاربة المسائل والأحداث والوقائع، فيقول:

«مُنذ مُدّة ليست بالقصيرة، أنا وولدي نعيش مرحلةً من الصّراع الخفيّ وأحياناً الظاهر، تُجاه كثير من المسائل الاجتماعيّة أو السلوكيّة ومُفردات الحياة. فولدي لديه نظرته، وأنا ووالدته لنا نظرتنا، تُجاه الكثير من الأمور المشتركة. هو يرى أنّني أتمسّكُ بأمورٍ وتقاليدَ عفا عليها الزمن، ولديّ قصورٌ كبير في مواكبة التقنيّات الحديثة التي أنتجَتها تكنولوجيا العصر... لقد بدأت هوّة الاختلاف بيننا وبينه تتّسع مع نهاية المرحلة الثانويّة. ومع بداية المرحلة الجامعيّة، أصبحَت خلافاتُنا تزدادُ حدّة حول الكثير من الأمور والمواضيع، سواء فيما له علاقة بالأسرة أو بعلاقاتِه مع أصدقائه وأصحابه».

ثمّة أسباب عديدة لاختلاف وجهات النظر بين جيل الآباء والأبناء. ولعلّ الأزمة الرئيسة التي تُميّز المراهقة، هي أزمة البحث عن الهويّة. ففي تلك المرحلة تختلط الأدوار التي يتطلّع المراهق لاختيارها، فهو يريد أن يُحقّق دور الراشد المستقلّ عن الأسرة، والزميل المُخلص لقيم الأصدقاء، وفي الوقت نفسه الابن الطيّب في أسرته.

دراسات ميدانيّة

ومن خلال اختبارات الميول التي أجرتها الدراسات الميدانيّة في الأكاديميّة البريطانيّة للعلوم السيكولوجيّة والهادفة لإلقاء الضوء على ظروف الأحداث الجانحين، جرى التوصل إلى النتائج التالية:

– 58% من المُستطلَعين يعتقدون أنّ

«إنـني أعيش صراعًا عنيفًا مع جيل أهلـي القديم، وحياتي معهم تتّجه إلى نفق مسـدود».

٥٨٪ من المُستطلَعين يعتقدون أنّ الاختلاف أو التباين مع الأهل هو بسبب اعتقاد الشاب أو الفتاة، أنّه مُمسك بزمام التقنيات الحديثة والتعامل الماهر معها.

الاختلاف أو التباين مع الأهل هو بسبب اعتقاد الشابّ أو الفتاة، أنّه مُمسك بزمام التقنيّات الحديثة والتعامل الماهر معها، كالكمبيوتر وأجهزة الاتّصال والبرمجيّات، وغيرها من وسائط التكنولوجيا المتنوّعة. فبينما يعتبر أنّه مطّلع على كلّ ما هو جديد ومتفاعل معه ومواكب له، يعتقد بالمقابل، أنَّ الأهل مُتخلفون عن مواكبة أسباب التقدّم والتكنولوجيا الحديثة، والتفاعل معها.

– 43% من المُستطلَعين يرون أنَّ مرحلة الصراع لإثبات الهويّة، قد تستمرّ مدّة طويلة وربّما سنوات من عُمْر الفرد. وقد تأخذ الصراعات المحتدمة بين الآباء والأبناء، أشكالاً من العدوانيّة أو النفور، أو التمرّد على الأهل أو الوقوف ضد المُحيط ...!؟

– ترى 62% من المُستطلَعين في عيّنة إحصائيّة عشوائيّة من الأسرفي الدول العربيّة، أنّ أشكال الرّفض أو الخلاف بين الأهل والأبناء قد تتطوّر إلى أعمال عدوانيّة، ربّما تصل إلى حدِّ ارتكاب جريمة أو الاعتداء الجسديّ المباشر في بعض الأحيان ..

– ويرى علماءُ النفس والاجتماع أنّه، من الناحية النفسيّة – السلوكيّة، تُصاحب مرحلة صراع الأجيال بين الشاب وأسرته أو بيئته، حالات من التوتّر أو الانفعال في سبيل تأكيد الذات والإمساك بزمام المعارف وصياغة القرار المستقلّ..!! وهذه الظواهر تُرافق عادة مراحل نموّ الفرد الفيزيولوجيّ، كما هي الحال في نُضوج نموّه الفكريّ.

مقترحات وحلول

إنّها مشكلة أجيال وقيم وعادات متوارثة. تتغيّر وفقًا لمتغيّرات الحياة وسرعتِها، مع كلّ ما تحمِلُه من تحدّيات وتوازنات ومتطلّبات ماديّة، تفرض نفسها على كلّ المنظومة الاجتماعيّة والحياتيّة، حيثُ الأهلُ والأبناء مِحوَرَي حركتِها وديناميَّتِها.

وفيما يلي مجموعة من الحلول والمقترحات تصُبُّ في خانةِ معالجةِ ما يُعرف بأزمةِ الهويّةِ لدى الشباب، أو بصراع الأجيال داخل الأسرة:

التوتر أو الانفعال في سبيل تأكيد الذات والإمساك بزمام المعارف وصياغة القرار المستقل، هي ظواهر تُرافق عادة مراحل نمو الفرد الفيزيولوجي.

• التفهُّم الواعي من قِبَل الشباب للدورِ الهامّ الذي يقوم به الوالدان في رعاية مسيرة ابنهم. فهم قدّموا عمرَهم وتعبَهم في سبيل سعادة الولد وراحته وتأمين مستقبلِه العلميّ والوظيفيّ.

• إنّ العطاء والتفاني من قبل الأهل، يجب أن يُقابَل بالوفاء وحُسن الرعاية من قِبَل الأبناء. وبالتالي ينبغي أن يكون التعامل مع الأهل من منطلَق الاحترام والعرفان بالجميل. وذلك على قاعدةِ الآية القرآنيّة: ((وقُل رَبِّ ارحَمْهُما كمَا رَبّياني صَغيراً)) (الإسراء: 24).

• الاقتداء بالأهل كقدوةٍ صالحة من خلال التصرُّف الواعي والحكيم الذي يتمثّل في سلوكَ الأهلِ الناضج الذي خبِر الحياة، فيستفيد من تجارِبهم ويقتدي بسيرتِهم.

• الابتعاد عن أصحابِ السوء والرفقةِ الفاسدة. ذلك أنّ الأصحابَ والرفقاء المنحرفين أو الفاسدين، قد تُتعب الأهل وتجعلُهم يعيشون القلق على أبنائِهم وبسبب عدم القدرة على ضبطِ محيطِهم في هذا الزمن الصعب.

• التخفيف ما أمكن من المتطلّبات التي تُرهق كاهل الأهل وتجعلُهم ينوءون بأعباءِ الديون والمشكلات الماليّة. وفي هذا المجال من الجيّد أن يُشعر الشابّ أهلَه بالتعاطفِ معَهُم في ما هم فيه من سعي لتأمينِ لقمةِ عيشٍ شريفة، تنهضُ بالأسرةِ وتؤمّنُ مستلزماتِها.

• بالحكمة يبدأ التخطيط لبناء فرد سليم متوازن وفاعل، لينخرط في المجتمع ويؤثّر فيه. وبالتوازن والعقلانيّة يمكن لصراع الأجيال أن يكون منطلقًا لإيجابيّةٍ ترسمُ هويّةَ شبابِنا وفتياتِنا، بعيدًا عن تعقيدات الواقع المنحرف، والأساليبَ الملتوية التي قد تجتذب بعض الشباب من خلال بيئات مخرِّبة.

د. نبيل سرور

أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

له عدة مؤلفات وابحاث في القانون، السياسة وعلم النفس الإجتماعي

المطالعة

أزمة ورق أم أزمة مزاج؟

فرح الحاج دياب

في زاوية غرفته الضّيقة زرع شمساً، ثمّ نفخ على السّقف فاقتلعه، وبنى مكانه خيمةً حاكها من خيوط السّماء. الأمر يشبه السّفر في آلة زمنيّة عجيبة يهرب عبرَها من سكن الطلبة الذي يقطنُه، ويهبطُ في بلادٍ بعيدةٍ لا يعرفها. تختفي الشّمس فجأة وتتحوّل إلى غيمة عملاقة. الحرارة في هذا الفصل تنخفض إلى ما دون الصّفر، البرد يقضِم أصابعه، لكنّه يقاوم ويقلِب الصّفحة، فهذا ليس فصل الشّتاء، بل هو فصلٌ في روايةٍ قرّر العيش فيها بكلّ حواسّه. هو يعلم أنّ الشّهادة التي ترك عائلتَه في القرية من أجلِها، ولجأ إلى بيروت ليحصّلها، قد لا تكون إلّا ورقة مزخرفه تعلّقها أمّه على الحائط، إلّا أنّه يخشى أن يكون هو الحائط.

يخطر بديهيّاً أن تكون الجامعات هي الفسحة الأكثر حفاظاً على عادة المطالعة. وأن حركةً ثقافيّة تنشط بين الطلّاب عمادُها الكتب. لكنّ المشهد اليوم: طلّاب يتناولون الشاشات الذكيّة بدل الكتب. والمشهد أكثر تعبيراً من التصريح.

مجلّة مع الشباب زارت عدّة جامعات والتقت طلّاباً من فئات مختلفة واختصاصات متعدّدة لاستطلاع حركة القراءة بين الشباب. فكان الواقع مؤكّداً للإحصاءات الخاصّة بمعدّلات القراءة في وطننا العربيّ. إذ تكشف عن تراجعٍ ثقافيٍّ

خطير بحسب منظّمة الأونيسكو. «أنا لا أناقش موضوع المطالعة مع الرفاق لأنّها ليست من اهتماماتهم». يقول حسام (علاقات عامّة). وتؤكّد منى (صحافة) أنّها نادراً ما تجد الفرصة لمناقشة كتاب مع زملائها، وإذا حاولت ابتداء نقاش، تشعر أنّها «تغرّد خارج سرب الأحاديث المتداولة».

وفي معرض السؤال عن زيارات الطلّاب إلى معارض الكتب، التي يُفترَض أن تكون مائدةَ كُتُبٍ شهيّةً، لم يكن هناك الكثير من التحفّظ في الإجابات: «لا أزور معارض». تقول هالة (طفولة مبكرة). في حين زارت سمايا (صحافة) المعرض ثلاث سنوات متتالية ولم تشترِ كتاباً.

طلبة الجامعات: لا وقت لدينا

إذا كانت القراءة تطيل العمر كما يقول صاحب العبقريّات الخالدة عبّاس العقّاد، فلا شكّ في أنّ المقرّرات الجامعيّة ذات القوالب الجامدة تقصّر العمر. يُجمع عدد من الطّلاب على عدم توفّر الوقت لديهم للمطالعة. تقول لين (حقوق): «أنا بصعوبة أستطيع قراءة الكتب المطلوبة لأجتاز المقرّرات الجامعيّة». ويوافقها زميلها عليّ الرّأي مضيفاً: «اشتريت في سنتي الجّامعيّة الأولى كتاباً عن علم الإجتماع، وها أنا أصبحت في سنتي الخامسة، ولم أقرأه بعد».

ويختم ساخراً «سأقرأه العام القادم أو العام الذي بعده».

من جهتها طالبة العلوم السياسيّة نادين تشبّه قراءة المقرّرات الجامعيّة بتناول وجبة طعام لا تحبّها: «تأكلها رغماً عن أنفك حتّى تشعر بالتّخمة حدّ التّقيّؤ، فيما وجبتك المفضّلة بردت ولم تعد شهيّة، ومعدتك بدأت تؤلمك، وها أنت تتقيّأ كلمات لم تفهمها». وتضيف: «دخلت هذا الاختصاص لشغفي بقراءة كلّ ما يتعلّق بالسّياسة، ولكنّ الامور بدأت تتعقّد لدى ارتيادي الكلّيّة، لا شيء إلّا كتب من التواريخ والطلاسم».

ضيق الوقت، والتّخمة الناجمة عن الحشو، وملل الطلبة من قراءة كتب أساتذتهم، ليست الأسباب الوحيدة التي أدّت إلى تراجع المطالعة لدى طلبة الجامعات، فكريستينا تشكو من ارتفاع أسعار الكتب: «بدل أن يشجّعوا الطلبة على القراءة في زمن اللاقراءة، يحاربوننا بالأسعار ويضيّقون الخناق علينا».

هكذا، ومع أزمة الورق، ارتفعت أسعار الكتب وأمست دور النشر دورَ ربحٍ لا دور ثقافة. علماً بأنّه لا علاقة لارتفاع سعر الكتاب بأهمّيّة مضمونه، إذ باتت بعض الدّور تطبع وتنشر وتبيع كما لو أنّها تنادي لبيع قوارير غاز أو غسّالات مستعملة. فلا مضمون قيّماً فيها، ولا لغة متينة، ولا فكرة

واضحة، ولا إملاء سليماً، ولا من هم يحزنون. «لا يكاد حجم الكتاب يتجاوز حجم كفّ اليد، وصفحاته النحيلة لا تزيد عن السبعين صفحة، وتقول لك الموظّفة بثقة أنّ سعره 12$، لماذا؟ شو بقوّص[1]؟!» تضيف كريستينا.

أزمة ورق أم أزمة مزاج

رائحة الكتب التي تغنّى بها المثقّفون، وارتشفوها مع

قهوة تهم كلّ صباح، تتلاشى في الفضاء الرقميّ إلى غير عودة. «الشاشة المضاءة، وسهولة قلب الصفحات، تحفّزني على القراءة قبل النوم». يقول حسن (علوم سياسيّة). ويضيف: «تتيح لي تطبيقات الكتاب الإلكترونيّ أن أقوم بالاشارة إلى المقاطع التي أريد أن أرجع إليها من خلال خاصّيّة الـ highlight. ويمكنني أيضاً أن أسجّل ملاحظاتي. ثمّ يجمع لي التطبيق كلّ ما أشرت إليه، وما كتبت عليه من ملاحظات في صفحة واحدة. كما أنّ التطبيق يحفظ لي الصفحة التي وصلت إليها. ويسهّل عليّ التنقل بين الفصول».

على الرغم من سلاسة وجاذبيّة التصفّح عبر الشاشات الإلكترونيّة، وقدرة العالم الرقميّ على جذب الشباب إلى خوض ميادينه، إلّا أنّها لم تحسّن نِسَب المطالعة لدى الشباب. «أقرأ ولكن حسب المزاج. أقرأ غالباً عبر الهاتف. ولكنّي لم أنهِ كتاباً يوماً». تقول غادة (أدب عربيّ). وتعلّق زميلتها سارة: «أقرأ على الورق وعبر اللوح الرقميّ، لكن نادراً ما أجد كتاباً يشدّني من أوّله إلى آخره».

واقع خطير: شباب جامعيّ غير مثقّف

ثمّة فسحات أملٍ تبدّد عتمة واقع القراءة الخطير. «القراءة تشبه الخبز اليوميّ، الذي يجب أن لا يغيب عن مائدتي في أيّ يوم، أنا أقرأ كثيراً، ولكنّني لا أعيش لأقرأ، بل على العكس، أنا أقرأ لأعيش، فالقراءة تمنحني حياة أجمل، إنّها صديق لا يخون مدى الحياة». هكذا تجيب طالبة الأدب العربيّ ندى. إلّا أنّها تحوّلت إلى محور الحديث في «صبحيّات» الجامعة لدى صديقاتها اللواتي ينعتنها ساخرات بالـ «مصقّفة» (بدل مثقّفة).

الورم الخبيث في جسم المطالعة لدى بعض الشباب تخطّى مرحلة «عدم القراءة»، منتقلاً إلى مرحلة أخطر تتجسّد بمحاربة القرّاء والسّخرية منهم، حتّى باتت نسب القراءة في الوطن العربيّ متدنّية جدّاً نسبة إلى غيرها من الشّعوب الأخرى، فمعدل قراءة الفرد العربيّ 6 دقائق سنويّاً، أو ما يعادل ربع الصفحة. أمّا الكتب الأكثر مبيعاً في معارض الكتب العربيّة، فغالباً ما تكون كتب الأبراج، وتعليم الطبخ، ومذكّرات وفضائح الفنانات والفنانين حسب إحصاءات نشرتها مؤسّسة الفكر العربيّ، اعتماداً على التقارير الثقافيّة العربيّة والتقارير الإنمائيّة للأمم المتّحدة عن العالم العربيّ وغيرها. أمّا معدّل ما يقرأه المواطن الاميركيّ فهو 11 كتاباً في السنة،

1- مثل شعبي لبناني يستخدم في سياق الاستهزاء.

ونظيره البريطانيّ 8 كتب، فيما معدّل قراءة «الإسرائيليّ» فهي 7 كتب. أي ما يقارب الـ 200 ساعة سنويّاً.

اللافت بين الطلاب المستصرحين أنّهم جميعاً يدركون واقعهم الخطير.«الشباب العربيّ يعرف كلّ شيء إلّا الثقافة». يقول عليّ (حقوق). وتعتبر سمايا (صحافة) أنّ «الكتب على أنواعها تكسب القارئ المعرفة لا إراديّاً». من جهته حسام (علاقات عامّة) يؤكّد أنّ القراءة تقدّم له «خلفيّة معرفيّة،

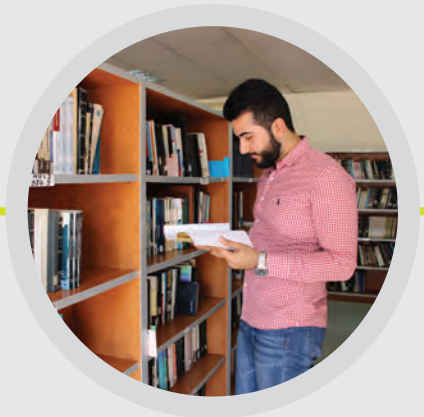

وتبني الشخصيّة الاجتماعيّة وتُطَوِّرُها».

إدراك الواقع ليس كافياً

ثمّة أسباب وعوامل بنيويّة، أدّت إلى ثقل المطالعة. للحديث عنها التقت مجلّة «مع الشباب» المسؤول الإعلاميّ في الجامعة اللبنانيّة، ورئيس قسم علوم الإعلام والاتّصال في عمادة كلّيّة الإعلام اللبنانيّة، الدكتورعلي رمال.

يطرح د. رمال عدّة أسباب للمزاج المتدنّي جدّاً للقراءة. الأوّل هو طبيعة القراءة. «فالقراءات ذات الطابع المعرفيّ انحدرت إلى الدرك الأسفل، إذ لم يعد هناك من يقرأ كتاباً غير ملزم به». ويحمّل النظام التعليميّ مسؤوليّة عدم تحفيز العقل على القراءة. فهذا النظام «يعتمد على فكرة التذكّر والمراجعة بدلاً من إنتاج المعلومة وتطويرها». ويضيف: «عندما يتحوّل التعليم من فكرة التذكّر للمعلومة إلى فكرة إنتاج المعلومة، سيصبح الطالب مجبوراً على المطالعة وتوجيه قراءاته أكثر نحو المعارف التي تؤدّي إلى تطوير المعلومة

خلال فترة التعليم. وبالتالي إنتاج قيمة مضافة عنها، أي معلومة إضافيّة».

سببٌ أخر يشير إليه الأستاذ في كليّة الإعلام، فرضه عصر المعلومات الذي نعيشه. فتكنولوجيا الاتّصال «أدّت إلى التهاء الناس عن القراءة. والوقت المتبقّي لدى الشباب بعد إنجاز مهامّهم اليوميّة، يستخدمون فيه مواقع التواصل الاجتماعيّ بدل القراءة». ويرى أنّ عدم وجود البرامج المشجّعة على المطالعة من قبل مؤسّسات الدعم والهيئات والمنظّمات حتى الحكومات، يعتبر تقصيراً أمام هذه الظاهرة الخطيرة. ويشدّد: «نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين حيث المنافسات الكبيرة جدّاً. الساحة للأذكياء فقط. والذكاء العلميّ يأتي من خلال الاكتساب. ويُكتسَب من المعرفة، والمعرفة تأتي من خلال قراءة الكتب».

إلى ذلك يحمّل د. رمّال المسؤوليّة أيضاً للإنتاج العربيّ. فيرى أنّ جزءاً كبيراً منه «غير جدير بالقراءة. أو قد يأتي متأخّراً بعد القيام بترجمة الكتب».

إقرأ... من أجل جيل مقاوم

بالأمس، انتصر الدم على السّيف، ولكن اليوم ينتصر القلم على الدبّابة. هذا ما أثبته درويش حين كتب قصيدته «عابرون في كلام عابر»، التي تُرجمت ونُشرت في صحيفة «معاريف» الإسرائيليّة، لتثير في صباح اليوم التالي حالة من الفزع، ألحقها درويش بـ «هستيريا القصيدة» قائلاً «فكّكوا المستوطنات لأفكّك القصيدة».

من يحمل سلاحاً دون ثقافة، يشبه النعجة التي تمسك سلاحها وتلحق القطيع مطلقة

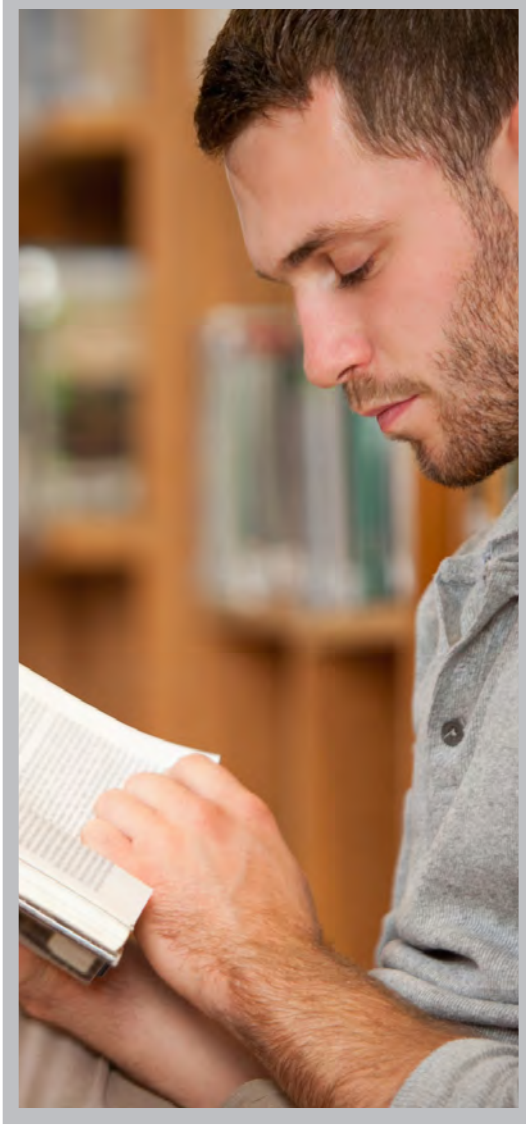

النار على الجبهة المقابلة، التي لا تعرف عنها شيئاً، غيرَأنّ زعيماً ما ضلّلها تماماً كما في تنظيم «داعش» الإرهابيّ. وهذا ما قاله جوزيف غوبلز وزير الإعلام النازيّ الذي صنع هتلر: «كلّما سمعت كلمة ثقافة تحسّست مسدسي».

«إقرأ باسم ربّك الذي خلق»

هذا أوّل ما أوحيَ للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم. ولعلّ عبادة الله تبدأ من المكتبات وتنتهي في المساجد. لأنّ المؤمن العارف أفضل إلى الله من المؤمن الجاهل.

* * *

6 أفكار للتّرويج الذاتيّ

محمد حسن

هل فكّرت يوماً برمزيّة الدجاجة التي تملأ الأرجاء نَقْنقة حالما تبيض؟ أجل لقد باضت، ولم تنتظر أن يكتشف المزارع إنجازها مُصادفةً، بل أعلنت عن ذلك بنفسها.

هل انتظرت يوماً أن يكتشف أحدٌ إنجازك مُصادفةً؟

يبدو أنّه في عالم مليء بالضجيج، فإنّ أحداً لن يتعرّف إليك، وأنت تفتقر للوسائل التي تُروّج من خلالها لمهاراتك وقُدراتك وإنجازاتك. ولربّما أنت تخاف من فكرة عدم استحسان الآخرين أو من الفشل، أو أنّك تقي نفسك من الغرور.

الواقع أنّه في طريقك إلى النجاح والتميّز، يُوجد وابلٌ من سهام النقد الهدّام تنطلق نحوك، وأمطارٌ من النقد البنّاء قطعاً ستهطل عليك. وسيشتدّان كلّما اقتربت من عُمق الطريق أو الهدف. وليس ثمّة ما يمنع ذلك. لكنّك استدراكاً، تستطيع أن تُعزّز درعاً يقيك من هذه السهام، وأن تُهندس مستوعَباً يستثمر لك تجميع المطر. وبعد أن تضع في خلفيّتك الذهنيّة هاتين الاستراتيجيّتين كقاعدتين أساسيّتين، ستتمكّن من تنفيذ خطّة ترويج واقعيّة ومُثمرة.

بعد تثبيت هاتين القاعدتين، من المُفيد أن لا نقع في فخّ أفكارٍ خاطئة شائعة جدّاً، جرت ملاحظتها، قد تفسد عليك أيّ خطّة ترويج:

الفكرة الأمثل هي المدخل للترويج الذاتيّ

لكنّ الواقع أنّ الفكرة هي مُجرّد بداية. يجري تنضيجها من خلال طرحها والتحدّث عنها مع الآخرين، وبالتالي ستروِّج لإمكانيّة أن يكون لديك

> ربما تخاف من فكرة عدم استحسان الآخرين أو من الفشل، أو أنك تقي نفسك من الغرور.

> تضيع فرص الإفادة والاستفادة، لعدم امتلاكك ثقافة الترويج الذاتي الصحيح.

> «غير الموجود على الإنترنت ليس موجوداً في الواقع».

فكرة رائعة. لكن تأكّد أنَّ من ستعرض الفكرة أمامَهم، هم من سيحملون لك مشعلًا خفيفاً ليضيئوا به الطريق أمامك كي تمضي قُدماً.

لا يهمني رأي أحد

من المبادئ السارية والمتّفق عليها في مجتمعاتنا، مبدأ «لا يهمُّني رأي أحد، ما دام ربّ العالمين يسمع ويرى»!

لكن هناك مبدأً آخر يقول: «خيرُ الأمور أوسطها». ويترتّب عليه، الموازنة بين مبدأ «لا يهمُّني» من جهة، وممارسة الترويج الذاتيّ من جهة أخرى. إذ ينبغي إشهار الحدّ الأدنى ممّا يراه الله ويعرفه عن قدراتك وميّزاتك. فقد يضيعُ وقتُ هؤلاء وهم يبحثون عن مهارات تمتلكها. فتضيعُ فرص الإفادة والاستفادة، لعدم امتلاكك ثقافة الترويج الذاتيّ الصحيح.

لماذا أُعذّب نفسي وأنا أعرف حظّي

ما هي الأمور التي جعلتك تصل إلى هذه النتيجة؟ هل يحصل ذلك عندما: «تجري الريّاح بما لا تشتهي السّفن»؟، ربّما يكون سير الأمور عكس ما ترغب، هو عين الحظّ؟! لاعتبار أنَّ الحظّ الجيّد والآخر السيّء هما وجهتا نظر.

تعتمدان على الزاوية التي تنظر منها إلى الواقع والحدث. والواقع أنَّ الحالة واحدة، ويُمكن أن تستثمر منها الكثير.

بعد مُعالجة الأفكار الخاطئة، يأتي دور ممارسة ثلاث استراتيجيّات عمليَّة للترويج:

عرض القُدرات الكامنة: فالحديث عن شغفك وقدراتك وما تحلم بالقيام به، حتّى لو كان خياليّاً بعيدًا عن الواقع، يُشعل شرارةً عند الكثير ممّن يبحثون عن هذا النوع من التوجّه.

عرض المهارات الحاليّة: من خلال استثمار كلّ الفُرص المُتاحة، والسعي لإيجاد فرص للإضاءة على المهارات والقدرات التي تُوظّفها حاليّاً في مجال عملك واختصاصك. واليوم، لم يعد كماليّاً أو ترفيهيّاً أن تمتلك منصّة على مواقع التواصل الاجتماعيّ، فـ «غير الموجود على الإنترنت ليس موجوداً في الواقع».

هذه المنصّات هي بمثابة وسيلتك الإعلاميّة الخاصّة، تبني فيها شخصيّتك الافتراضيّة، وتُحدّد ملامح صورتك المتخصّصة، من خلال الصور ومقاطع الفيديو الخاصّة بأنشطتك العمليّة، وأماكن وجودك، والأشخاص الذين تلتقيهم، كإعلان عن نوعيّة معارفك.

عرض المُنتج الشخصيّ: لكي تكون مُنسجماً مع طبيعة هذا العصر العمليّة والمتسارعة الأحداث، ولتتمكّن من الترويج لمنتجاتك سواء كانت مكتوبة أو مرئيّة أو مسموعة، أو خدماتيّة تعليميّة أو تدريبيّة حتّى مُنتجات تجاريّة، عليك أن تحتفظ بها في أرشيف يسمح لك بالوصول إليها ساعة تشاء.

وبعد إثراء الأرشيف الذاتيّ، فكِّر بالطريق الأفضل للترويج: هل تضعه دفعة واحدة أمام كلّ من تراه مناسباً؟ أم تختار منه ما يناسب الظرف الراهن في كلّ مرّة؟

الواقع أنّ العرض الكامل دفعة واحدة، غير مقبول إلّا في المواضيع الرسميّة. كتقديم السيرة الذاتيّة للحصول على وظيفة أو منصب معيّن. وفي غير هذا الموضع، قد تقع في نقطة ضعف قاتلة، هي «الغرور الظاهريّ».

ولتفادي هذا السلوك المُدمّر لخطتك التّرويجيّة، تذكَّر أن تُعرض المُنتجات المناسبة أمام الأشخاص المناسبين.

وأخيراً ...

إذا تعاملت بهذه التقنيّات بشكل انْسيابيّ، فسيُصبح الترويج الذاتيّ بالمقدار المطلوب جزءاً من حياتك اليوميّة، وسيشكّل لك وقاية من الوقوع في إشكاليّات العُجب والتكبّر والغُرور. وهي سلوكيّات غالباً ما تُشكّل عنصر انصرافٍ عن الترويج الذاتيّ لفئة المُثقفين المتواضعين...

محمد حسن
اعلامي وعضو مؤسس في المبادرة الشبابية لتنمية المهارات

المخترع العمانيّ هلال بن سالم السيابيّ

152 اختراعاً منذ الثانية عشرة من عمره

فاطمة سلمان

هل حصل أن نزلت يوماً من سيارتك وتركتها قيد التشغيل؟ كأن قصدت أحد المتاجر للتسوّق السريع، أو توجّهت إلى ماكينةِ السّحب النقديّ لأحد البنوك، وما هي إلّا ثوانٍ حتى وجدت سيارتك قد سُرقت!

الآن أصبح بإمكانك أن تقطع الطريق على سارقي السيارات، لكن كيف؟

بجهازٍ صغيرٍ يُوضع في محفظتك، يقطع الوقود عن الدوّاسة، فينطفئ المُحرّك. ولا يمكن تشغيل السيارة مجدّداً إلّا من خلال هذا الجهاز. وهذا الابتكار سجّله المخترع العُمانيّ هلال بن سالم السيابيّ.

للتعرّف أكثر على المخترع والاختراع، أجرت مجلّة «مع الشباب» هذه المقابلة:

– هل تعرّفنا أكثر إلى نفسك؟

أنا متخصّص في كيمياء المعادن، وأُولى اختراعاتي كانت عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، وقد بلَغت إلى اليوم 152 اختراعاً.

– ما الذي يدفعك إلى الاختراع بشكل عامّ؟

متعدّدة هي دوافع الإبداع، تقودها الرغبة في تحقيق أهداف ذاتيّة وأخرى معنويّة. لكن، تبقى أهداف «التصدّي للمشكلات» من أهمّ الدوافع.

– ما الذي جعلك تهتمّ بهذه الفكرة تحديداً؟

لقد رأيت في إحدى القنوات التلفازيّة الخليجيّة، خبراً مُفاده أنّ سرقات السيّارات في إحدى دول الخليج بلغت 1650 سيارة في غضون 6 أشهر فقط. الأمر الذي استفزني ودفعني إلى التفكير في هذا الاختراع.

– هل يُمكن أن تعرّفنا أكثر إلى هذا الاختراع؟

هو جهاز يتكوّن من شريحتين، مُرسِل ومستقبِل. تُوضع الأولى في السيارة والأخرى في محفظة السائق. بمجرّد نزول السائق يعمل النّظام اللاسلكيّ، وفي حال اقتحام لصٍّ ما للسيارة وحاول تحريكها، ينطفىء المُحرّك، ويُمنع فتح غطائه.

يتميّز الجهاز بصغر حجمه، ولا يتجاوز سعره 60 دولاراً. وهو غير قابل للتلف.

– ما هي المدّة التي تحتاج إليها لتنفيذ اختراع كهذا؟

المدّة تختلف حسب تبلور فكرة آليّة أيّ ابتكار، وكذلك حسب خبرة المُبتكر في تنفيذ الفكرة وتصميم الابتكار، أمّا بالنسبة لي فلا تتعدّى شهراً واحداً.

– هل ثمّة اختراعات جديدة على الطريق؟

نعم هناك ثلاث اختراعات جديدة أخرى، سأعرضها على صفحاتي على مواقع التواصل الاجتماعيّ هذا العام.

– ألا تكشف لقرّاء مجلّتنا عن أحدها؟

بكلّ سرور، ثمّة جهاز بحجم «فلاش ميموري» لتقوية الإرسال على الهاتف النقال.

تتصدّر سرقة السيّارات قائمة الجرائم الأكثر انتشاراً في المملكة العربيّة السعوديّة. إذ كشفت آخر إحصائيّة صدرت عن وزارة الداخليّة السعوديّة عام 2016، عن سرقة 1134 سيارة في شهر كانون الثاني (يناير) فقط، وحدث معظمها في المدن الرئيسة، مثل الرياض، والدمام، وجدّة، ومكّة المكرّمة.

كما أعلنت القيادة العامّة لشرطة الشارقة في آذار الماضي من عام 2017، عن إلقاء القبض على عصابة متخصّصة في سرقة السيّارات بالإمارة. والجدير ذكره أنّ معظم المركبات المسروقة كانت قد تُركت في حالة تشغيل من قبل أصحابها عند تعرّضها للسرقة.

وفي حين تكثر التقارير عن حالات سرقة وأخرى متعلّقة بإلقاء القبض على عصابات، إلّا أنّ الإحصاءات الرسميّة في هذا السياق تغيب في معظم الدول العربيّة.

فاطمة سلمان
محررة

بريشة: فرح الحاج دياب

زهرة بانسيه

مريم ميرزاده

جلست ميريلا ذاك اليوم، في غرفتها ذات الشرفة المطلّة على الهضبة الخضراء في مهريز، تحيك أوّل سجادّةٍ صوفيّة. الفصل شتاء، الشهر ديسمبر، السنة ليست مهمّة. للقارئ رغبته في تدوين لحظة وجود الشخصيّات وتأريخ أحداث هذا اليوم.

البيت كبير، غرفه متعدّدة، لكنّه كان نوعاً من محاولة إرضائها، أن اختاروا لها هذه الغرفة، يعرفون تَوقَها الخاصّ إلى الشرفات. تسبّب لها الأبواب المغلقة تسارعاً في دقّات القلب وشيئاً ما يسمّونه رهاب الأماكن المغلقة. لكنْ واضح أنّ البشريّة سارت قبلها وكلّ من كانوا يعانون مشكلتها نفسها ما زالوا أحياء. شيءٌ ما يبدو أنّه ولد معها، يشعرها بتآمر الجدران على أنفاسها فقط، وقد تنقض عليها منتصف الليل وهي راقدة، من يدري! ميريلا لا تحبّ الجدران، لطالما رسمت عليها بيوتاً بقرميد أحمر وقمماً خضراء وأنهاراً .. وورداً. لكنّ الجدران لا تتخلّى عن صلابتها! برغم أنّها بعد انتهائها من رسمها تحدّق إلى الجدار بحنان، وتتبسّم بخيبة. لطالما نالت من اللوم ما كان وفيراً من والديها وهي صغيرة لإفسادها سلامة الجدار.. لو كانت مخطئة أو مجنونة، كما تشعر بانطباعهم ونظراتهم، لكان السلطان عباس الصفوي أكثر المعقدين نفسيّاً، ولكان الفنّان الذي رسم تلك اللوحات المخلّدة فوق جدران «جهل ستون»* وأسقفها.. كبيرَ مُختلّي أصفهان عقليّاً!

> «لا تجزع من جرحِك.. وإلّا فكيف للنورِ أن يتسلّلَ إلى باطنِك..؟ »
>
> جلال الدين الرومي

لا بأس، ستواجه الكثير من شبه هذه الأفعال، إن رغبت في المضيّ خلف أحاسيسها.. هذه الخيوط الذهبيّة المغزولة تحت جلدها، التي تجعل لها حواسّ إضافيّةً لكلّ حاسّةٍ طبيعيّة من الخمس المعروفة. كما لكلّ كوكبٍ سيّارٍ أقمارٌ عديدة. تدور أحساسيها حول حواسّها.. المجرّةُ روحُها!

تسارع ميريلا نحو النوافذ والشرفات مذ كانت طفلة.. ليعود المدى أمام عينيها لا متناهياً. هي تحبّه هكذا! هكذا تكون في سلامٍ مع أفكارها التي تشبه كرةً من صوف تعبث قطّةٌ مشاغبة بها، القطّةُ قلبُها!

منذ عامين اختارت الانضمام الى معهد تعليم حياكة السجّاد.

ميريلا منذ قدوم أسرتها من طهران، بدأت بتعلّم الحرفة. تشغلها قليلاً عن التفكير بنقمتها على والديها بسبب خيارهما اعتزال حياة العاصمة. لم يكن سهلاً عليها اقتلاع جذورها التي يراها أبواها أمتعةً وكتباً ليس إلّا.. من ذاك المكان. حتّى أنّها لا تدري ما إذا أتت بكلّ أغراضها.. هناك كتابٌ مفقود منذ قدومها لم تعثر عليه. لكنّها تستبعد احتمال

تركه هناك، وعدّته حين أهداها داوود قصائد سهراب المختارة، أن تحتفظ به دائماً. تتجاهل أمّها أمر الصناديق الكرتونيّة التي لا تزال في قبو البيت. الصناديق تحوي كراكيب لكنّ ميريلا شبه متيقنة أنّ الكتاب هناك! لحسن حظّها أنّه لم يكتب اسمه أو أيّ إهداءٍ على صفحته الأولى، لهذا لا تقلق إذا عثرت أمّها عليه. قرأته عدّة مرات. ليست القصائد مهمّة. لكنّها تخاف إذا طال غياب الكتاب، أن يتلاشى في غبار الورق، ذاك الشيءُ الذي يشبهه، تلك الذرّات التي كانت تخاطبها من بين السطور.. ما زالت تفكّر في جنسها، ما نوع ذاك السحر الأخّاذ. هل يغيب إذا طال عمر الكتاب؟ أو عمرها؟

حين يكون الطقس ملائماً، تزيح الستارة الرقيقة الزهريّة، تفتح نافذة الشرفة لتحمل لها الرياح الغربيّة عطراً تعرفه، فتنظر إلى أسفل وتبتسم لشتلات زهور البانسيه التي زرعت بذورها وانتظرت ليحصل ما يحصل الآن..

ميريلا تبتسم لزهور البانسيه كما تبتسم للجدار المنقوش، كلّما قرأت لسهراب، تبعثرت روحها كوردةٍ جفّت بين الصفحات.. برغم أنّه لم يهدها واحدة. تبتسمُ وهي تطرق المشط الحديديّ فوق غرزات النسيج داخل عقد السجّادة على النول الخشبيّ. علّمتها جدّتها أن تستغل جلوسها الطويل للحياكة، بالتسبيح.. أعجبتها فكرة أن تذكر الله مع كلّ عقدةٍ وغرزة..

هو هنا بكثافةٍ في ذاك اليوم. تضربُ المشط الحديديّ أكثر من اللازم، لكنّ صورته لا تتلفها الضربات. الذاكرة تطرق هنا بقسوة.. بلا رحمة. ميريلا تبتسم.. لا تشعر بأصابعها! برغم أنّ دقّات قلبها تبدو في تراقصٍ مع حركات المشط. يتوازى خطّ الغرزات تماماً. الأفق الذي تأمّله معها عند غروب ذاك اليوم يشبه هذا الخطّ الصوفيّ. لم يكن موعداً، بل مصادفة مرغوباً بها جدّاً، عند البحيرة الصناعيّة في طهران.. تَحيكُ فيروح داوود ويجيءُ أمامها.. تماماً كسؤالها المهجور عن حقيقة قصتهما. لا قيمةَ للخيال في حياكة نسيج الصوف. القطعة ستكتمل بالعمل، بالصبر. على ميريلا أن تثق، بأنّ الواقعَ خبزٌ والخيالَ تضوُّرٌ.

الآن ومذ عادوا إلى هنا، أمست هذه الشرفة ركنَ لقاءاتها الحافلة بأحاديث لم تكن.

تدعوها أمّها: عندي مشوارٌ إلى البازار الكبير، عليكِ أن ترافقيني، الطقسُ سيعجبُكِ جدّاً!

ترفض ميريلا: لديّ ما أقوم به أمّي. اِجلبي لي معك ذاك السوار النحاسيّ فقط من حجرة الشيخ عرب. أتذكرينه؟

تكفّ الأمّ عن الإصرار. ميريلا لن تبدّلَ قرارَها. برغم أنّ الشيخ عرباً لمّا قال لها إنّ

الرسومات بريشة: مريم ميرزاده

النحاس يناسب مواليد برجها، غيّرت رأيها في مقاطعة الأبراج.. وعادت تلتمس قرّاء الطالع في البازار وقارئات الكفّ.

بقيت ذاك اليوم وحدَها. ترغب في تحديد صورة السماء في إطارها الصغير. زهور البانسيه تعزف لها أسفل الجدار سيمفونيّةً تشبه «الربيع» لفيفالدي».. من الشرفة، كونُها أكبر هنا.

ميريلا تبتسم في شرفتها. عيناه في خضرة الشجرِ البعيد أمامها. صوته في أذنها يهمسُ مع الصمت الذي يصفرُه الريح. قد يكـون الآن نطـقَ ببضعِ كلماتٍ هناك. مثل تلك التي لم يقلها قطّ.. فسمعته.. ميريلا تبتسم كابتسامتها عند البحيرة وهو يختلقُ أدباً اجتماعيّاً يتقرب منها به. ربّما كان مهذّباً في لقاء المصادفة وحسب. ربّما كلّ ما كان من صنيعةِ رأسها.

ميريلا اختارت أن تبتسم. من الشرفة، يبدو طيفُه أوضح. سيمرُّ وجهُه كما تمرُّ الغيوم. ستنتظر. تقولُ جارتُهم إنّ وجهَ ميريلا يبعث على السلام والطمأنينة. تفكّر ميريلا بموضوعيّةٍ تشبه قناعتها بأنّ الوجه مرآةُ الداخل، أيّ سلامٍ في وجهي؟!. برغم ذلك ميريلا تبتسم للمرأة كلّ يوم. تماماً كابتسامتها للسقف في غرفتها أمس، بعد خروج الجارة واستلقاء ميريلا في سريرها محدقة. ليس لأنّها شاردة الذهن. لكنّ أنوثتها تغمرها كلّما شخصت لها ملامح داوود في السقف.. أو خيالها.. لمَ تُحِبُّ أن يسمعَها؟

هو الآن يصغي، وإلّا فكيف لها أن توجّهَ صرختَها فجأةً إلى ما خلفَ حنجرتها.. إلى عمقها الذي يناديه ملتمساً: داوود....داوود..!

لا شك في أنّه سمع! يا لخجلتها! تحمرّ وجنتاها. ذات الشعور اعتراها يوم وضع بين يديها المرتعشتين ديوان سهراب. لا يمكن لكلّ ذاك الشيء أن يكونَ وهماً. يستهلُّ ثغرُها. تتدحرج هذه المرّةَ دمعةٌ على أهدابها. ثمّ تلامس الوسادة. تبتسم أكثر. كأنّها تبصرُ أخيراً دمعته..

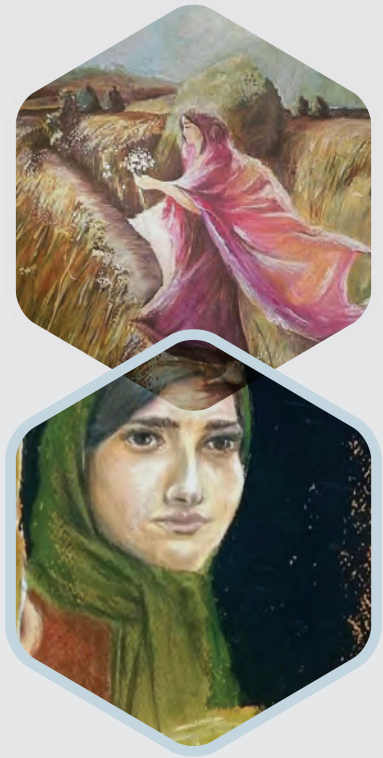

بعد أقلّ من خمسةَ عشرَ دقيقة.. يضيقُ صدرُها. ميريلا منزعجة، متضايقة. من الصرخة؟! من الدمعة؟! من حقل الزهور؟! تحاول أن تعرف وتستعيدَ سلامَها. تفشل! الضيقُ يتزايد. أنفاسُها تتخبّط. ألمٌ في وسط الصدرِ يهزّ جسدها المستلقي. تعجز عن الحراك. ولا أحد هنا.

يواصل الطبيب إحداث الصدمات الكهرَبائيّة فوق الصدر. بعدما رفع باقة البانسيه البنفسجيّ عنه. متوجّهاً إلى الممرضة:

من وضع الباقةَ هنا؟

الممرضة: شابٌّ جاء وحيداً لعيادتها، ثمّ خرج مسرعاً

حسناً فلتضعي هذا النول الخشبيّ خارج الغرفة.. يبدو أنّها تستعيد وعيها، الإشاراتُ إيجابيّة.

دكتور منذ أيّامٍ كانت والدتها تطرقُ على النول الخشبيّ هنا، لاحظتُ حركةً طفيفةً في الأصابع. برغم أنّ الأمّ المسكينة تطرق بالمشط الحديديّ وحسب. ولم تحك عقدةً واحدةً منذ يوم الحادث.

الحادث كان خطيراً.. اصطدامها كان جامحاً عند الرأس.

لكنّ زيارة هذا الشابّ كانت غريبة. جلس عند سريرها يبكي. بكى كثيراً. يبدو أنّ الدموع تخرج من عينيها. أنظر إلى هنا دكتور!

هههه نعم أنا من المؤمنين بأنّ مريض الكوما يشعر بالأمور التي يحبّها.. فلتتصلي بأسرتها..

المسكينة هنا منذ عامٍ ونصف. والدتها تأتي كلّ يوم برفقة جارتهم. ستفرح كثيراً بهذا الخبر.

الممرضة تبكي متأثّرة.. وهي تنزعُ عن معصم ميريلا السوار النحاسيّ الذي حفرت عليه آياتٌ من القرآن. سوف تُجرى لها سلسلةٌ من الفحوص اليوم.

تمسح الممرضة الدمعة. تسرّح لها شعرها. تمسحُ جبينها بعطر المسك.

ميريلا تتنفّس. يتحرّكُ الجفن. تتعرّق الجبهة.

البانسيه البنفسجيّ قربَ رأسها.

وميريلا تبتسم.

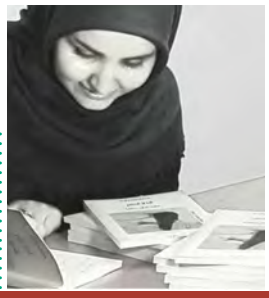

مريم ميرزاده

إجازة في علوم الأحياء من الجامعة اللبنانية

كاتبة ومترجمة ـ إيران

نظام «يقوم مقام الإله»

فيلم Geostorm
للمخرج دين ديفلن

زينب عقيل

بطل مُتهوّر، ذو شخصيّة غير مبالية، يتولّى وحده حماية الأمن القوميّ الأميركيّ المُهدّد. ويقود فريقاً متعدّد الجنسيّات لإنقاذ الكوكب، وقد تزعّمت الولايات المتّحدة الأميركيّة حماية العالم من الكارثة، وإنقاذ الكوكب في آخر جزء من الثانية، وذلك بسبب مؤامرة على رئيس الولايات المتّحدة – الذي بيديه وببصماته فقط يمكن إنقاذ البشريّة – ولكن يقف في طريقه شخص بيروقراطيّ (أيّ موظّف حكوميّ) يُعرقل مهامّه في اللحظات الحرجة جدّاً. وبطلنا هذا، هو الأكثر حظّاً دائماً والأكثر ذكاءً غالباً، من نُظرائه من الجنسيّات الأخرى. وهو بفضل العلم الذي أنجزه، يفترض أنّه يقوم بمهامّ الإله، خاصّة فيما يتعلّق بالكوارث الصناعيّة والطبيعيّة – أو تلك المتعلّقة بالتغيّر المناخيّ بسبب الاحتباس الحراري.

قد يتبادر إلى ذهنك فيلم :

"The Day After Tomorrow"

أو ربما : "Independence Day"

وقد يكون: "2012"، "Deep Impact"، "doomsday rock"، أو "Armageddon"، "without Warnning"، إلخ.. وقد لا يكون آخرها الفيلم الذي أُطلِق مؤخراً (في تشرين الأول سبتمبر من عام 2017). من إخراج "Dean Devlin" وبطولة "Gerard Butler".

الفيلم يتميّز عن غيره بأنّه نموذج كامل لكلّ تلك الكليشيهات الهوليوديّة. إذ يبدو أنّ صانعي الأفلام في هوليود، وعلى مدى أكثر من نصف قرن، لم ينتهوا من استنفادِها بعد. وقد أصبحت أنماطاً تُسهّل التنبّؤ بالأحداث في معظم أفلام الحركة الأميركيّة.

يُعاين فيلم «Geostorm» مجموعة علماء من 19 دولة، توصّلوا في المستقبل القريب أي في عام 2019، إلى حلّ مشكلة الاحتباس الحراريّ، من خلال شبكة من الأقمار الصناعيّة تلفّ الغلاف الجويّ للأرض. ضمن نظام يدعى «Dutch Boy». هذه الأقمار قادرة على التحكّم بأيّ ظاهرة مناخيّة يُمكن أن تهدّد حياة الناس في أيّ دولة. وفي أحد الحوارات، يقول ED Harris – الذي يؤدّي دور نائب الرئيس الأميركيّ – إنّ «هذا النظام يقوم مقام الإله».

بدأت القصة عندما حصل خلل في نظام "Dutch Boy" فبدأ بإبادة قُرى كاملة صِحراويّة في مناطق شرق آسيا بالجليد. وفي الصين ارتفعت درجة حرارة الأرض بدأت القصّة عندما حصل خلل في نظام «Dutch Boy » فبدأ بإبادة قُرى كاملة صِحراويّة في مناطق من شرق آسيا بالجليد. وفي الصين ارتفعت درجة حرارة الأرض لتنفجر أنابيب الغاز في مشهد مهول. ثمّ اجتاحت

المياه عدداً من المدن الكبرى الساحليّة في دُبي وإيطاليا وأميركا اللاتينيّة، في مشهديّات مُخيفة تسقط فيها العواصم على طريقة الدومينو. ولإثارة أكبر، يُعرض الفيلم بتقنيّة 3D و4D في بعض الدول.

شركات كُبرى تموّل الفيلم وتروّج لمنتجاتها

المشاهد الخارجيّة في هذا الفيلم، لا تكاد تخلو من السيّارات الإلكترونيّة الذكيّة. وكما في معظم الأفلام، ثمّة شركة كبرى متعدّدة

ومتعدّية الجنسيّات تعمد إلى التمويل مقابل الترويج لمنتجاتها. لذلك «قرّرنا أن تكون كلّ السيارات في الفيلم إلكترونيّة» يقول مخرج الفيلم «Dean Devlin» في أحد المقاطع الترويجيّة على موقع youtube . ويؤكّد ذلك مشرف المؤثّرات البصريّة «Jeffry A. Okun»، «لدينا مجموعة Mercedes-Benz B-Class، إنها حقاً مذهلة».

وفي السيناريو تظهر الدعاية واضحة جدّاً لهذه السيارة، إذ تقول العميلة السريّة المسؤولة عن أمن الرئيس الأميركيّ Abbie Cornish: «حقّاً، هل سنخطف الرئيس في هذه السيّارة الناعمة في القيادة؟». وبعدها نرى كيف تُثبت هذه السيّارة قدرتها الانسيابيّة في عمليّات المطاردة والهروب.

خطف رئيس الولايات المتّحدة

في متتاليات السيناريو، كان لا بدّ من خطف الرئيس. وذلك بعدما تبيّن لـ (Gerard Butler Jake) وأخيه الموظّف الحكوميّ (Jim Sturgess Max)، بأنّ فايروساً جرى زرعه داخل النظام، والمتّهم الأوّل هو الرئيس الأميركيّ (president palma Andy Garcia)، إذ هو الوحيد الذي يملك شفرات البرنامج، وهي بصمات يديه العشْر. وهم مضطرّون لاختطافه قبل موعد العاصفة الكونيّة المدمّرة للبشريّة خلال أقلّ من ساعة، وذلك لإعادة تشغيل النظام والقضاء على الفايروس. ليتبيّن فيما بعد أنّ الرئيس كان ضحيّة مؤامرة من قبل نائبه (Dekkom Ed Harri).

لكن إلى أيّ مدى كانت أهداف المؤامرة مُقنعة؟! وكيف استطاع Jake إزالة الفايروس من النظام؟ من الأفضل عدم التدقيق!! بل التركيز في الأبطال الذين أنقذوا الكوكب في الثواني الأخيرة!

> تمّ زرع فايروس داخل النظام، والمتهم الأول هو الرئيس الأميركي إذ هو الوحيد الذي يملك شفرات البرنامج.

المخاوف الأميركيّة الكبرى

حبكات وشخصيّات ونهايات مُتشابهة، يجري اقتباسها من سرديّات المجتمع الأميركيّ. تندرج تحت مفهوم الأساطيرالرائجة التي يجري تخيّلها وتصديقها دونما دليل. والحكومات الفيدراليّة لا تقصّر في تغذية هذه السرديّات، التي بدورها تعزّز سلطة الأيديولوجيّة الرأسماليّة. ومن الأساطير السياسيّة الأساسيّة السارية في المجتمع الأميركيّ، التي تشكّل أنماط تفكير جماعيّة، أنّ:

- كلّ المشاكل تأتي من الخارج ومن الجماعات الأجنبيّة.
- قادة الولايات المتّحدة الأميركيّة هم أبطال خارقون وقادرون على إنقاذنا من أيّ خطر.
- مهمّة المواطن هي التضحية والعمل بجدّ والمزايدة من أجل القادة السياسيّين.

> تتكون مجموعة من القضايا تحت عنوان «المخاوف الأميركية الكبرى»، يحتاجها السياسيون في حملاتهم الانتخابية، ولدى إقدامهم على احتلال شعوب جديدة.

فتتكوّن مجموعة من القضايا تحت عنوان «المخاوف الأميركيّة الكبرى»، يحتاج إليها السياسيّون في حملاتهم الانتخابيّة، ولدى

إقدامهم على احتلال شعوب جديدة. فالأسطورة الأكثر رواجاً كمصداق وكنتيجة عمليّة لكلّ تلك السرديّات، تتلخّص في أنّ الأمن القوميّ الأميركيّ سيكون مهدّداً إذا لم تتدخّل الولايات المتّحدة لإنقاذ شعوب العالم. وبذلك فقد أصبحت وغدت وأمست الديموقراطيّة شماعة لإبادة الهويّات وسلب الشعوب.

هذه «المخاوف الكبرى» تبدو كبئرٍ ارتوازيّة لا يجف لدى المنتجين في هوليوود. يلعبون على أوتارها في صناعة سيناريوهات مختلفة بنسبٍ متفاوتة لتصبح جاهزة للاستهلاك. ويعوضون عن أيّ نقص في السيناريو أوعدم القدرة على الإقناع، بكاريزما النجوم المُمثّلين. خاصّة في الأفلام المتعلّقة بالكوارث الطبيعيّة والقضاء على العالم. إذ تُشكّل عامل جذبٍ بنيويٍّ لإثارة الجمهور الفُضوليّ، لمشاهدة كيف يُمكن لقوى الطبيعة أو تدخل الإنسان، تدمير شوارعه ومُدنه الضخمة.

لكن هل حقّاً تندرج قضايا المناخ والاحتباس الحراريّ تحت عنوان «المخاوف الأميركيّة الكبرى»!!

يُذكر أنّه في عام 1971 اجتمع أبرز العلماء في العالم لبحث مخاطر التغيّر المناخيّ، ونادوا بضرورة ترشيد استهلاك الطاقة، إلّا أنّ شركات النفط الكبرى ومناجم

> ويعوضون عن أي نقص في السيناريو أوعدم القدرة على الإقناع، بكاريزما النجوم المُمثلين.

الفحم احتجّت بأنّ مسألة الاحتباس الحراريّ مُجرّد كذبة. وفي عام 1981، بدأت قضيّة الاحتباس الحراريّ تأخذ منحًى سياسيّاً في الولايات المتّحدة، عقب انتخاب الرئيس ريغان، الذي لم يهتمّ بمطالب المنظّمات البيئيّة. وقد اعتبرت الإدارة الأمريكيّة أنّ القضيّة مُجرّد وَهْم. وأنّه لا توجد تأكيدات تخص مخاطر مُحتملة. وهو المسار نفسُه الذي سار عليه الرؤساء الجمهوريّون في التعامل مع القضيّة إلى اليوم. وهذا ما فعله الرئيس الجمهوريّ دونالد ترامب مؤخّراً، إذ أعلن عن انسحابه من «اتفاقيّة باريس للمناخ»، التي وقّع عليها أوباما عام 2015. معتبراً أنّ «الاتفاقيّة تُعيق قدرات الولايات المتّحدة الاقتصاديّة، وأنّها قد كلّفتها مليارات الدولارات، وتزيد التكلفة على الشعب الأمريكيّ». كما تعهّد بالخروج من أيّ اتفاقيّة «لا تضع أميركا أوّلاً».

سمٌّ في عسل

لطالما نجحت الولايات المتّحدة الأميركيّة في فبركة السيناريوهات الرنّانة، ونحت المصطلحات الغامضة التي تحتمل في معناها أكثر من تأويل واحد. فتربّعت من خلالها على عرش البروباغندا الإعلاميّة. وهي إلى اليوم لا تألو جهداً ولا تترك ميداناً لا تروّج لنفسها من خلاله، على أنّها الحامية والضامنة لحقوق الشعب، ولعلّ هوليوود هي الميدان رقم واحد لبثّ السموم بقوالب من حلوى، تدمّر من خلالها الجهاز المناعيّ لثقافات الشعوب. ولمّا كان السلاح الأقوى لأيّ أمّةٍ ثقافتها، فإنّها تسمُّم هويّتها، ستُصبح للاستعمار.

زينب عقيل

دبلوم صحافة
باحثة في علوم الإعلام والاتصال.

هامشٌ للموت

محمد مجدي

في الفنّ، يكون الإبداع دِرعاً في مواجهة العدم، كما الحياة، تستمرّ مُكايدةً في الموت.

تلك هي المعادلة التي خرجت من رحمِ قرنٍ واجه فيه الإنسان احتماليّة فنائه من على وجه الأرض، بعد ظهور القنبلة النوويّة، وحروب غرق فيها سنواتٍ طويلة.

في أوروبا، ومع أنّها كانت ساحة حربٍ سنوات، إلاّ أنّها شهدت ظهور عدّة حركات غيّرت مسار الفنّ، وخصوصاً الفنّ التشكيليّ، حيث جعلت منه منصّة للتغيّر والثورة، بعد أن كان جزءاً من أثاث القصور. فخرجت اللوحات إلى النور وإلى المجتمع، بعد أن ظلّت معلّقة على حيطان صالونات البرجوازيّين والنبلاء سنين. حيث أصبح الفنّان، أو الإنسان بوجه عامّ، هو البطل الأوّل للوحاته التي أصبحت تعبّر عن غضبه وأحلامه.

وقد أوجد ذلك الصراع بين الفنّ والموت مدارس واتّجاهات عدّة، جعلت الفنّان كما لو أدرك أنّه على حافّة الهاوية. ويحاول بشتّى الطرائق إضفاء المعنى لحياته. على عكس الفنّان العربيّ، الذي لا تعترف ثقافته بهذا الصراع. كما لا تُوجد فيها تلك الندّيّة بين حدثين تراهما أساساً للوجود، الحياة والموت. ولعلّ هذا ما تسبّب في حالة من التَعَثُّر أو البطء في الحركة الفنيّة العربيّة، وبمعنى أصحّ، رسّخت حالة من الطمأنينة والاستقرار في نفس الفنّان العربيّ فأصبح مستهلكاً، ناقلاً ومقلّداً لكلّ المدارس الغربيّة. لكنّه أضفى عليها طابعه الخاص، طابع تكوينه وبيئته.

من هنا نُدرك أنّ الفنّ الحقيقيّ ينشأ من الصراع بين الفنّان وذاته. من القلق والخوف الذي سيطر على الفنان الغربيّ. من دمار استشرى وهدّد وجوده، وهو مستمرّ إلى الآن، لكنّه بوجه حضاريّ، فنجد تلك النزعة التي نشأت من قلق وجوديّ هي المحرّك الأوّل والدافع الأساسيّ لكثير من الفنانين، للتساؤل عبر فنّهم. ومن أمثال هؤلاء الفنّان التشكيليّ الإيطاليّ المُعاصر (Nicola Samori 1977).

يحتلُّ الموت أو الغياب في لوحاتِ ساموري فائض مساحات لونيّة، حيث تتحوّل لوحاته إلى ساحة للقتال، أجساد تتصارع كَيْ تقترب من الوضوح، ملامح ضبابيّة، مشوّهة إلى حدٍّ مخيف، تغطّيها طبقات من التخريب المُتعمّد، كشطّ، خدش...

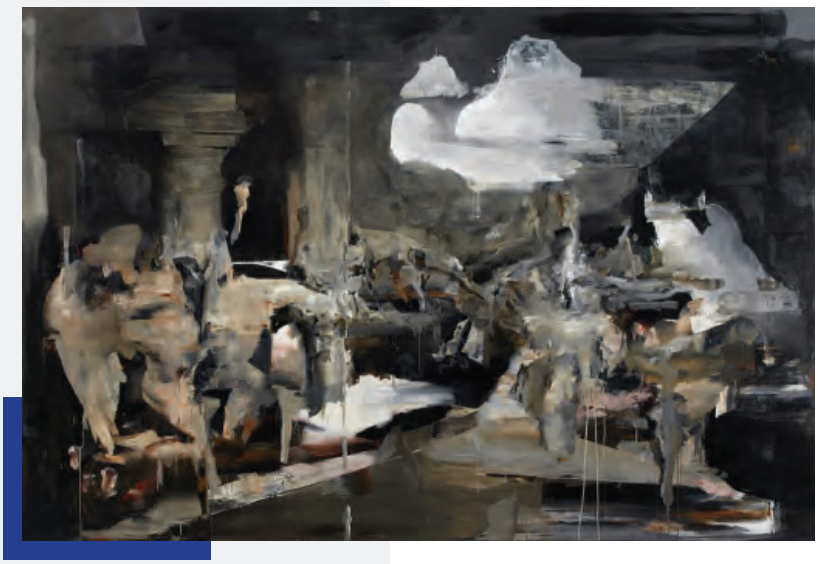

وغيرها من الأدوات التي يبحث من خلالها عن هويّة حقيقيّة لشخوصه، من دون أن تتحوّل الملامح لمجرّد عنصر صُوري ليكتمل تكوينه. إنّه يدعو العين لترى وتبحث من خلال تلك الحلقة المفرغة بين الكتلة والفراغ في لوحاته. لذا كان التشويه بوّابَته لتوريط المُشاهد في رحلة للدخول في أعماقٍ وطبقات متعدّدة من الكوابيس. الأسئلةُ التي تتوارد في ذهن المُشاهد من دون نَسَق أو ترتيب..

> «خرج الفن التشكيلي من أثاث القصور وصالونات البرجوازيين إلى العامة من الناس، بعدما ظهرت عدة حركات جعلت منه منصة للتغيّر والثورة.»

محاولًا تجاوزَ تلك النظرةِ السائدة، التي ترى ريشة الرسّام بأنّها مُجرّدَ أداةٍ لإمتاع العين، لذا حوَّلَها إلى مطرقةٍ للهدم، ثمّ تُعيد العينُ بناءَ التكوين، وفق رؤية حُرّة لا تلتزم أُسُس التشكيل.

يستوحي ساموري نمط أعماله من اللوحات الكلاسيكيّة لسادة عصر النهضة. لكنّه يُضفي عليها ذلك التشويه أو الدّمار المُتعمَّد في سؤال هامّ: لماذا نتخلّى عن الماضي عندما يُمكننا إعادة تصوّره كما نُريد؟

لذا كان استكشاف ما تحت السّطح هو غَرَضُ الفنّان. فبدلاً من أن يكون العالمُ مقدّماً داخلَ لوحة، تُصبح اللوحةُ نفسَها جزءاً من قصّة غير مُكتملة، تدعو العين للبحث والتنقيب. هذا لأنّ التاريخ هنا لا يُقدم نفسَه بشكل مُتسلسل وسَلسٍ، تستطيع العين استيعابَه وحفظَه، بل إنّه بوّابة زمنيّةٌ

تنفتحُ على العوالم الداخليّة. لكلّ لحظة ضنيناً بها وقد أُخذت منّا. إنّه تحلّلٌ وسقوطٌ لكلّ ذريعةٍ لوجودِنا، لنكتشِف أنّنا نُواجه المُبهم، اللا شيء، إنّه جحيم يتغذّى على ضياعٍ يتملّكُنا شيئاً فشيئاً، وأسئلةٍ تتراكم من دون أجوبة.؟!

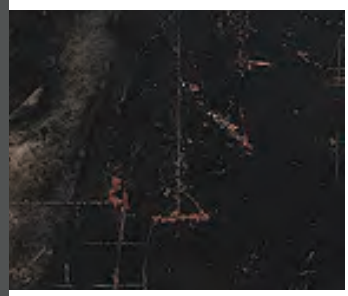

> «منهجية ساموري التي يتخذها في لوحاته هي محاولة وضع اللاوعي في إطار التجربة، النقاش والتحليل. فنرى أعماله تتميز بمزيج من العنف والوساوس والهلاوس والموت والتحلل»

منهجيّة ساموري التي يعتمِدُها في لوحاته، هي محاولةٌ لوضع اللاوعي في إطار التجربة، النقاش، التحليل. الأمر الذي يعكسُ معرفَتَه واطلاعَه على نظريّاتِ التحليل النفسيّ، ونجاحه في توليفها في أعماله. فنرى أعماله تتميّز بمزيج من العنف والوساوس والهلاوس، والموت والتحلّل، وماهيّة كلّ تلك المصائر الحتميّة، أو ما يُطلق عليها: الأسئلة الكُبرى..؟!

وهو هنا لا يُقدّم أجوبةً تستَنِدُ إلى مجهودٍ من البحث والتنظير، بل إنّه يُقدّمها كما هي، كحالة تستوجب التأمّل من كلّ شخص. فكُتْلتُه لا تملك الحيّز الكامل للوجود. وجوهٌ غير مُكتملة أو ذائبة في الخلفيّة السوداء وحسب، تحاول دوماً إيجاد لغة بصريّة لمشاهدِها. تتيح له المساحةَ اللازمة لتكتملَ في مخيّلتِه، والخروجَ بأفضلِ تمثيلٍ بصريّ لما يدور في نفسه..

محمد مجدي

ـ خريج كلية الفنون من جامعة القاهرة ـ عين شمس.

الفنان نيقولا ساموري
NICOLA SAMORI

بين العلم والجهل

أسيل سقلاوي

لم تستطِعْ صبراً ..

صبرْتَ طويلا

فَاتخذْتَ من تعبِ المسيرِ سبيلا

وسعيتَ نحو المجدِ

تُشعلُ نجمَهُ في راحتيْكَ ..

فكم سعيتَ خجولا!

وَصفوكَ بالضِلّيلِ

..!! يا لفؤادهم

ما كان غيرُ فؤادهمْ ضلِّيلا.

وفعلتَ فَعلتكَ الجميلةَ بعدما

عرفوا أنّك لم تكنْ مسؤولا

فبنيتَ من وجعِ الطموحِ مدينةً

تأوي إليها بُكرةً وأصيلا

وتحجُّ بيتَ العلمِ

في عطشٍ

وفي تعبٍ

وفي ...

وفي كي تقرأ المجهولا

منكَ القليلُ

إذا التقى كثيرِهم

صارَ الكثيرُ مع القليلِ قليلا

خيلٌ وليلٌ واضطرابُ

مُثقَلٌ بالغيبِ

... لكِنْ أيقنوكَ رسولا

وقد استقرَّ بكَ المسيرُ مكرَّماً

لا ترتضي غير النجاح بديلا

الجهلُ فرعونُ الحياةِ

فكُنْ عصا موسى

لَتْلقف منْ تراهُ ذليلا

كنْ يوسفاً

تأوي إليك الناسُ عن علمٍ

بأنك قد خُلقتَ جميلا

أسيل سقلاوي

شاعرة، من مؤلفاتها ديوان: أنا إنْ غبت عنّي

أن تكون ميدانًا لكم، لنشر إبداعاتِكم ومساهماتِكم الفكريّة والأدبيّة والفنيّة...

أن تكون منبرًا للتعبير عن آرائكم وتوجّهاتكم...

«مع الشباب» تفتح صفحاتها الورقيّة والإلكترونية لـ:

- **الانتساب إلى أسرة المجلة:**

ـ هل ترغب في أن تكون أحد أعضاء أسرة المجلة؟

يسرّنا أن نستقبل مشاركاتكم في كافة الأبواب المخصّصة في المجلة: (مقالات الرأي - مقالات نقدية - قصة قصيرة، قصيدة...).

- **نشر الإنجازات والانتاجات الفكرية والفنيّة:**

ـ هل تبحث عن فرصة تنشر فيها إنجازاتك وإنتاجاتك؟

يسعدنا أن نسلّط الضوء على إنجازاتكم (كتاب - فن تشكيلي - أفلام قصيرة - كاريكاتور). ما عليكم إلا إرسالها لنا.

- **قرأت العدد الماضي من «مع الشباب»:**

ـ هل لديك وجهة نظر في مقالات المجلة أو نقد لأحد الموضوعات فيها؟

في هذا الباب تطلق المجلّة لقرائها كامل الحريّة في إبداء آرائهم حول مقالات المجلة ومواضيعها، ضمن مقال نقدي موضوعي يعكس رؤية كاتبه.

- **الأسئلة والاستفسارات:**

ـ هل لديك سؤال تبحث عن إجابة عنه أو مشكلة تريد حلّاً لها؟

يمكنكم إرسال أي سؤال أو إشكال أو مشكلة تخطر ببالكم (عقائدية، اجتماعية، نفسية، تربوية...). سيعمد فريق من المتخصصين للإجابة عن أسئلتكم، واقتراح المعالجات المناسبة لمشكلاتكم.

- **تغطية الأنشطة الشبابيّة:**

ـ هل لديك نشاط شبابي تودّ الإعلان عنه؟

يشرّفنا أن تكون مراسلًا لتغطية هذا النشاط، ونشره عبر موقعنا الإلكتروني.

Email: Among.shabab@gmail.com
Whatsapp: 09613835051
telegram: t.me/maashabab
website: maaalshabab.iicss.iq
facebook: @maaalshabab
twitter: @maaalshabab
instagram: maaalshabab

رسالة مجلّتنا

البحث
في الفضاء الرقميّ

لماذا؟ كيف؟ ومتى؟

حسين عمار

اكتسابُ المعرفة عبر الإنترنت ليس عملاً عشوائيّاً كما يُخيّل للكثيرين في الفضاء الرّقميّ. بل هو فنٌّ يجب إتقانه. ومع كلّ مرحلة جديدة نمرّ بها في مسار تكوين الذات وامتلاك الرصيد المعرفيّ، العلميّ أو المهنيّ، تزداد لدينا الحاجة لاكتساب شيءٍ جديد. فنبدأ حينها رحلة البحث. لكن من فينا يُخطّط ويُفكّر، قبل أن يضع قدمه في هذا البحر الواسع من مصادر المعرفة؟

المُشكلة الحقيقيّة ليست في الرغبة لدخول هذا العالم، بل في اختيار الأبواب وامتلاك المفاتيح، وإن كانت الرغبة العمياء، كالصديق الأحمق، تضرّك من حيث تريد أن تنفعك!

لماذا أصبحنا نختار الفضاء الرّقميّ والتكنولوجيا بشكل عامّ لاكتساب المعرفة؟

طالب المعرفة والباحث عنها، هو في الغالب شخصٌ ما زال في مرحلة تكوين ذاته وسيرته العلميّة والمهنيّة، لأنّ من هُم في مرحلة متقدّمة من المفترض أنّهم غارقون في استثمار ما كسبوه وتوظيفه في مساراتهم الناجحة. لذلك فإنّ موضوع بحثنا يُعتبر هاجساً لدى «الشباب» بالدرجة الأولى. والشابّ غالباً لا يملك الكثير من المال، خصوصاً في الطّبقات الاجتماعيّة محدودة الدَّخل، بالإضافة إلى أنّه يبحث – بطبيعته – عن الطرق الأسرع والأقصر للتعلّم، أي إنّه يبحث عن «الوجبات السريعة» بالمفهوم الاستهلاكيّ. وهذا ما يقدّمه الفضاء الرقميّ بمختلف أدواته وتطبيقاته.

ومراكز التدريب والتأهيل على اختلاف اهتماماتها ومجالاتها، باتت تُقسّم موادها إلى حلقاتٍ صغيرة، حتّى عند إعدادها متناً

تدريبيّاً مكتوباً بشكلٍ مُفصّل فإنّها تدعمه بروابط لمقاطع تعليمية مُصوّرة. فمن لا يملك الوقت للتردّد إلى معهدٍ لمدة شهر بشكل يوميّ، حتماً سيملك على الأقلّ نصف ساعة يوميّاً ليشاهد فيها فيديو على جهازه أو هاتفه الخاصّ، وهو جالسٌ في منزله أو في عمله أو في جامعته. ومن لا يملك المال للتسجيل في المعهد، يمكن أن يملك المال لشراء مجموعة أقراصٍ لا تبلغ قيمتها ربع كلفة دورة تدريبيّة تقليديّة.

حتى عندما يكون التواصل المباشر مع المدرّب ضروريّاً، فقد بات يُقدّم عبر «ورشات» قصيرة لا عَبْر دوراتٍ طويلة الأمد.

لقد انخفضت كُلفة التدريب، وارتفعت نسبةُ الاستفادة...

كيف نختارُ الأدوات التي نحتاج إليها؟

منصّاتُ العالم الافتراضيّ لا تُشبه بعضها، فهي إلى جانب كثرتها قد صُمّمت لاستخدامها في مجالاتٍ مُحدّدة، وإن كانت تصلح للاستفادة منها في موضوعات ثانويّة أخرى.

فيما يلي نستعرض بعض هذه الأدوات وكيفيّة الاستفادة منها:

1 ـ متصفّح الويب Web browser:

هو النافذة الرئيسيّة التي تلج من خلالها إلى المواقع والصفحات الإلكترونيّة، ويُمكن استخدامها عبر الحاسوب أو عبر الهاتف الذكيّ.

بعض برامج التصفّح مثل (Google chrome) تتمتّع بإمكانيّة إضافة تطبيقات صغيرة إليها وتسمّى Extensions، تقدّم هذه التطبيقات خدمات وإضافات تُساعد المستخدم وتمنحه خيارات إضافيّة أثناء التصفّح.

ويُمكنك الاستفادة من خيارات البحث والحفظ في برامج التصفّح، كما يُمكنك حفظ الصفحات التي تدخل إليها باستمرار عبر خاصّية (Bookmark).

2 ـ الشبكات الاجتماعيّة Social Networks:

أو ما يُعرف بمواقع التواصل الاجتماعيّ، هذه المواقع تُتيح مشاركة الملفّات الرقميّة والنصوص، وإن كان بعضها مختصّاً بأنواع محدّدة من الملفّات أو في مجالاتٍ معيّنة، مثل: فيديو، صور، كتب، وظائف.

الشبكات الاجتماعيّة الأشهر والأكثر شيوعاً هي:

- Whatsapp
- Facebook
- Twitter

المشكلة في استخدام هذه المواقع، تكمن في أنّنا نتعامل معها في أغلب الأحيان، على أنّها مصادر أساسيّة للمعلومات، لكنّها في الحقيقة قد صُمّمت لنشر الموادّ السريعة والصغيرة، ويُمكن ملاحظة ذلك من خلال غزارة المنشورات على هذه المواقع.

فإذا كُنتَ بصدد البحث عن مادّةٍ ما، وركّزت عملية البحث في هذه المواقع، قد لا تجد ما تحتاج إليه، لأسباب تتعلّق بالدائرة التي تبحث فيها، واختفاء المضمون الذي تطلبه ضمن رابطٍ خارجيّ – كأن ينشر أحدهم رابط مقالٍ ما على صفحته في فايسبوك، ويكتفي بوضع تعريفٍ لا صلة له بمضمون المقال نفسه – أو في نسخ مادةٍ عن مصدرها الأصليّ في أحد المواقع الإلكترونيّة مع إجراء تعديل عليها، فتحصل أنت على المادّة المنسوخة لا المادّة الموثوقة من مصدرها الأصليّ.

إذاً، لا مُشكلة في البحث ضمن هذه الشبكات الاجتماعيّة ما دمتَ تدرك أين تبحث...؟

3 – الصحافة والإعلام المكتوب:

النّمط الجديد – نسبيّاً – من الإعلام المكتوب، يسمّى «التّدوين»، وهو نسخةٌ مبسّطةٌ عن المقال الطويل، تكون الفكرة فيه أكثر تركيزاً وجذباً. ويُذكر هنا أنّ المدوّنَتين الأكثر شهرةً وانتشاراً في العالم هما(Blogger) لشركةGoogle و(Worlpress) لشركة.Automattic

ختاماً، وقبل أن تغلق هذه الصفحة وتذهب لتجربة ما قرأته فيها، تذكّر أنّ عالم الإنترنت هو عالمٌ واسعٌ وجذّاب إلى حدّ الإبهار.. فاحْذر أن تقع في أفخاخه العميقة من دون أن تشعر!

حدّد بالضبط ما الذي تُريد فعله، قبل أن تمسك الهاتف أو تفتح جهازك المحمول، حدّد الوقت الذي تُريد أن تصرفه، ثمّ حدّد متى يجب أن تتوقّف... وإلّا فقد تجد نفسك بعد جُلوسك للقراءة في موضوعٍ معيّن، أنّك قد صرفت أربع ساعاتٍ من وقتك، قرأت فيها كلّ شيءٍ، عدا ما كنت تنوي قراءته..! ناهيك عن الكمّ الكبير من العناوين والصور والمشاهدات المشوّهة التي دخلت عقلك في ساعة تخديرٍ وغفلة.

ختاماً

اسْتغرقْ ما شئت في هذا العالم الافتراضي، لكن حافظ على دفاعاتك، منيعةً ومُحكمة. كُن حذراً، صاحياً، يقظاً ونافذ البصيرة.. فمن نام، لم يُنَم عنه...

حسين عمّار
كاتب وخبير برمجيّات

البيوت الذكيّة

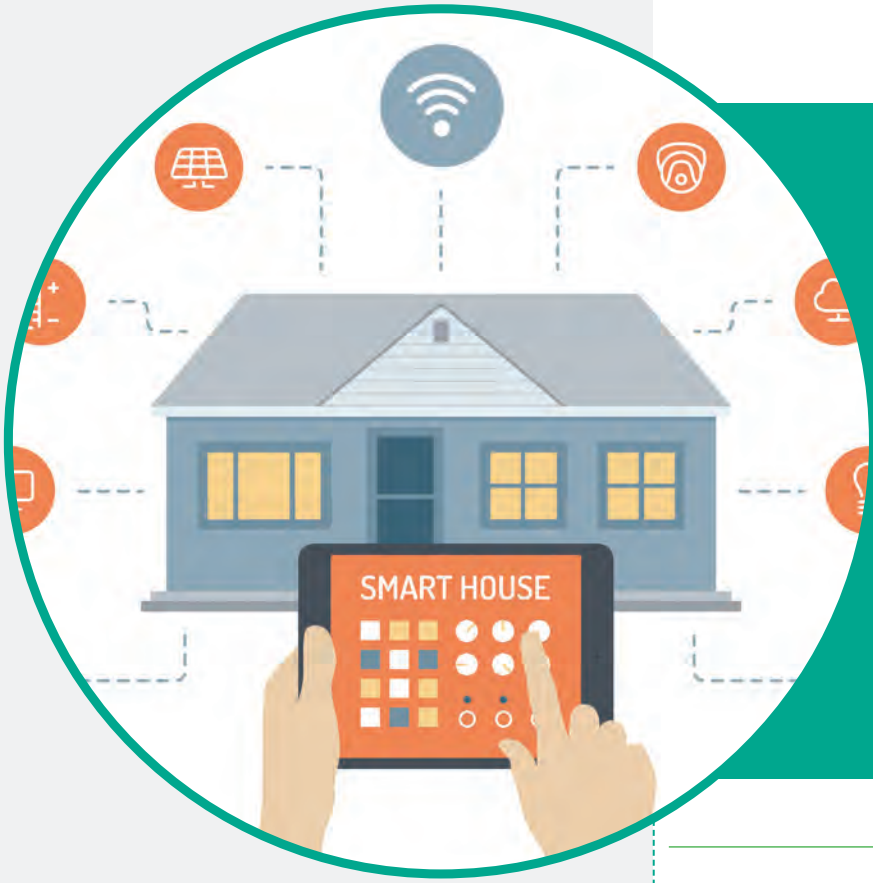

علي زين

في زمن معجزات التكنولوجيا الحديثة، يبدو أنّ الناس قد أصبحوا مهووسين بالتحكّم. الأمر الذي يستدعي المزيد من المنتجات الذكيّة التي تُحقّق المزيد من الضبط للأدوات اليوميّة. أجهزةٌ تسمح لك بالتحكّم بالإضاءة، ومُنظّمات الحرارة، حتّى إناء الطهو. وكلّ ذلك من خلال هاتِفك الذكيّ.

منتجاتٌ بالأطنان وأنظمة بيئيّة متكاملة تمكّنُك من التحكّم بمنزلك من خلال تطبيقات أنظمة ios وأندرويد. تحتاج إلى أن تختار أداتك المفضّلة (gadget) وحسب، لتجهيز مسكن ذكيّ وفقًا لشروطك.

تتضمّن الأجهزة المتّصلة: الكاميرات، المصابيح الكهربائيّة، والروبوتات، حتّى سلّة المهملات. تشتركُ جميعاً باتّصالها بالمساعد الرقميّ، الذي يحفظُ صوتَك وعاداتِك، ويحقّق لك التحكّم الكامل بالمنزل من خلال مخاطبة الجهاز فقط. وبدوره الجهاز، ومن خلال «الصوت النسائيّ»، يقوم بإبلاغك بكلّ المعطيات والإحداثيّات.

ومن هذه المنتجات:

- **كاميرا مراقبة:** تلتقط الحركة في الليل والنهار وتسجّل جميع الأحداث الواقعة.

- **منظّم الحرارة الذكيّ:** يحتوي واجهة تعمل باللمس وجهاز استشعار عن بعد، يساعد على تأكيد أنّ كلّ الغرف في المنزل تحصل على الحرارة المناسبة.

- عدّة مصابيح كهرَبائيّة: تحتوي على مصباحين ومحور لربطها بجهاز منزليّ ذكيّ آخر. يمكن للمحور ضبط سطوع هذه المصابيح brightness.

ذ- القابس الذكيّ: يمكنك التحكّم بالطاقة الداخلة على القابس من خلال الهاتف الذكيّ من أيّ مكان أنت فيه. ويحتوي على وضعيّة "away mode"، فتشتغل كلّ الأجهزة في المنزل حتّى يبدو كأنّك فيه.

- جهاز تحكّم فتح باب المرأب الذكيّ: يمكّنك من فتح باب المرأب وإغلاقه أينما كنت. وتسعى الشركات إلى إضافة حسّاس sensor، يفتح الباب ويغلقه أوتوماتيكيّاً فور اقتراب سيارتك منه.

- قفل الباب الذكيّ: بالإضافة إلى القفل الإلكترونيّ تستطيع استخدام مفاتيحك العاديّة، يحتوي على نظام معقّد يصعّب على السارق اختراقه.

- إناء الطهو الذكيّ: يحتوي على مساحة ضغط، تستخدم بخار الماء الساخن لطبخ الطعام، وضبط الحرارة. تستخدم لسلق اللحوم وطهوها. إنّها سهلة الاستخدام ويمكن تشغيلها من خلال تطبيقات على الهاتف الذكيّ، تحتوي على الآلاف من الوصفات الشهيّة.

علي زين
إعلامي ومتخصص في التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي

«نوموفوبيا»:

اتّجاه صاعد بين الشباب

نوموفوبيا Nomophobia وهو اختصار لـ: "no-mobile-phone phobia". **مصطلح يعبّر عن نوع من الخوف، يتزايد في العالم اليوم خصوصاً في المجتمعات الصناعيّة. وهو الخوف من أن يكون الشخص بدون هاتفه الذكيّ.**

جرى نحته عام 2010، أثناء دراسة أجرتها منظّمة «يوغوف» البحثيّة "YouGov"، بطلب من مكتب بريد المملكة المتّحدة "UK Post Office"، بهدف النظر في الاضطرابات التي يعانيها مستخدمو الهواتف المحمولة.

والواقع أن «نوموفوبيا» هو اتجاه سائد اليوم "trend"، خاصّةً بين الطلاب الشباب والمراهقين. حتّى إنّ عدداً كبيراً من طلّاب الجامعات اليوم، يستحمّون مع هواتفهم. ومنهم من يفضّل أن "يخسر إصبَعَه الخنصر، عن أن يخسرهاتفه الذكيّ". كما يعبّر أحدهم.

في بريطانيا: رهاب من فقدان الاتّصال

وجدت الدراسة أنّ حوالَى 53% من المستخدمين في بريطانيا، يصبحون قلقين عندما:

- يخسرون هاتفهم الذكيّ.
- تنفذ بطارية الهاتف.
- ينفد رصيد الهاتف.
- يكونون غيرمتّصلين بالشبكة.

تشير الدراسة إلى أنّ 58% من الرجال المستطلعين و 47% من النساء، يعانون هذا الرهاب. و 9% منهم يشعرون بالضغط النفسيّ عندما يكون الهاتف مغلقاً. ويشير 55% منهم إلى أنّ سبب الاضطراب ناجم عن عدم قدرتهم على البقاء متّصلين بالأصدقاء والأقارب، وهو الأمر الذي يؤمّنه الهاتف.

في الولايات المتّحدة: الأمور تصبح أسوأ

- 56% أو اثنان من أصل ثلاثة أشخاص، ينامون وإلى جانبهم هواتفهم الذكيّة.
- 34% اعترفوا بأنّهم يجيبون عبرهواتفهم خلال جلساتهم مع شركائهم.
- أكثرمن نصف المستخدمين لا يغلقون هواتفهم أبداً.
- 66% من الراشدين يعانون «نوموفوبيا».

مجموعة توصيات لتجنّب هذه العوارض أو للتخلص منها:

- احرص على إغلاق جهاز الهاتف عدّة مرّات خلال اليوم.
- اختبر التواصل وجهاً لوجه.
- وازن بين اتّصالك مع الناس من خلال الشاشة، وبين اتّصالك بهم شخصيّاً.
- حاول أن «تصوم» عن التكنولوجيا مرّة أو أكثر خلال الشهر. من خلال الانقطاع عن أجهزة الكومبيوتر والهواتف الذكيّة والألواح الرقميّة.
- أَخرِج هاتفك من غرفة النوم.
- خصّص مدّة زمنيّة محدّدة خلال النهار لاستخدام التكنولوجيا.

الخوارزميات

العالم الرياضيّ محمّد بن موسى الخوارزميّ

خضر فرحات

الرياضيّات في كلّ العصور هي الأساس لكلّ الاختصاصات العلمية والأكاديميّة والتكنولوجيّة، لم تستغنِ عنها البشرية يومًا. هي اللغة الأبجدية الأساسية لعلوم الكيمياء والفيزياء والهندسة والاتصالات والتقانة بكافة أشكالها، بل المحور الذي تعتمد عليه الحضارة الإنسانية على الصعيد العلمي.

الواقع أنّ محمد بن موسى الخوارزمي، المتوفى في العام 874 ميلادي عن عمرٍ يُناهِزُ 66 عامًا، قد جعل حياتَنا أسهل. إذ قدّم للبشريّة تطوّرًا تراكميًّا ملحوظًا في علم الرياضيّات التي نستخدمُها اليوم في كل أغراضنا. من البسيطة منها إلى صناعةِ الطائرات والصواريخ والقطارات والحواسيب. وقد وُصِفَ كلّ ما أنتجَه من نظرياتٍ وابتكاراتٍ ووسائلَ في حلِّ المعادلات بالخوارزميات نسبةً إليه، وبالأجنبية Algorism وAlgorithm.

الخوارزميّة هي مجموعة من الخطوات الرياضية والمنطقية والمتسلسلة اللازمة لحلِّ مشكلةٍ تقنيّة أوحسابيّةٍ أوعلميّةٍ معقّدة. وفي حال لم تستطع ترجمةَ أيِّ هدفٍ لديك إلى خوارزميّةٍ محدّدة، وخطواتٍ متسلسلةٍ واضحة، فعندَها، عليك أن تراجع هدَفك. فقد تكون الرؤية غير واضحة لديك، أو يوجد تفاصيل قد غابت عنك. فعلى سبيل المثال، في مجال علم الحاسوب، الخوارزميّة هي عبارة عن مجموعة من التعليمات والخطوات الواضحة، التي تُخبر الحاسوب ما الّذي عليه أن ينفِّذَه، وكيف يستطيعُ تنفيذَه. والطريقةُ الوحيدةُ لإخبارِ الحاسوب بتنفيذِ أمرٍ ما، هي أن تكتُبَ له خوارزميّة فيها كلّ التفاصيل التي ستُحدِّد له كيف سينفّذُ طلبَك منه، بدءًا من خوارزميّة سهلة لجمع رقمين، إلى خوارزميّة معقّدة كالتي تُستخدَم لتسييرالطائرات.

ولأن الخوارزميّة سلسلة من الخطواتِ الحسابيّةِ المعرّفة بشكلٍ جيّد، فهي تأخذَ قيمة أو أكثر كالمدخلات Input، وتعطي قيمة أوأكثركالمخرجات Output.

بهذا المفهوم فإن الخوارزمية عبارة عن أداة لحل المسائل الحسابية. ونقصد بكلمة مسألة : العلاقة بين الدخل والخرج، وبالتالي فإن دور الخوارزمية توضيح الخطوات الضرورية للوصول إلى العلاقة المطلوبة، وعادةً ما تسمى قيم الدخل التي يتم اختبار الخوارزمية عليها بـ Instance..

لتوضيح المفاهيم السابقة نأخذ المثال التالي:

لنفترض أنّه لدينا سلسلة من الأعداد الصحيحة ونريد ترتيبَها تنازلياً فعندئذٍ:

المسألة: ترتيب تنازليّ للأعداد الصحيحة.

الدخل: سلسلة من الأعداد عددها n .

الخرج: سلسلة الدخل مرتبة تنازلياً.

Insatnce : بفرض سلسلة الدخل هي <40،15،30،5،10> فإن سلسلة الخرج هي <40،30،15،10،5>

أخذنا عملية الترتيب كمثال توضيحي لأهميتها الكبيرة في كثيرمن التطبيقات،وقد تمَّ تطويرُ عددٍ كبيرٍمن خوارزميات الترتيب.

الواقع أنّنا لا نعرفُ تفاصيلَ كثيرة عن حياةِ أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاشَ في القرن التاسع الميلاديّ. فأجدادُنا اجتهدوا في تخليد أبيات الشعر القائمة على مدح الحكّام ومبايعتِهم أكثرَ من اهتمامِهم بالترجمةِ الدقيقة للعلماء. لكن يُقال بأنّه وُلد في العام 781م. وهاجر مع أبويه من بلاد فارس واستقرّ في مدينة قرطب القريبة من بغداد. أو هاجرَ والداه من فارس وأنجباه في مدينة قرطب. ونُسب إلى مدينة خوارزم الفارسية التي جاء منها. وفي صغره كان هذا الغلام الصغير عاشقًا لركوب الخيل، لكنّ عشقَه امتدَّ إلى ما هو أبعد من ذلك، فانجذَبَت نفسُه إلى عشق المسافات والأرقام والأشكال الهندسية. وبعد أن لَمَس شَغَفُه أحد وعّاظ عصرِه، اقترح على أبيه أن ينقُلَه إلى بغداد، حاضرة العلم في ذلك الوقت. ليجد فيها بيئةً ملائمةً لاحتواء إبداعه، فينطلقَ فيها. وقد تم ذلك. فدرس الخوارزميَ الرياضيّات وغيرها الكثير من العلوم حتى برز فيها.

نما إلى علم هارون الخليفة العباسيّ الذي كان مولعًا بالعلوم في ذلك العصر، أنباءً انتشرت حول موهبةِ الخوارزميّ في الرياضيّات والفلك والجغرافيا، فأرسل وراءَه ليعيّنَه باحثًا في دار الحكمة. ثمّ ليتربّع الخوارزميُّ على عرش رئاستِها في عهد الخليفة المأمون.

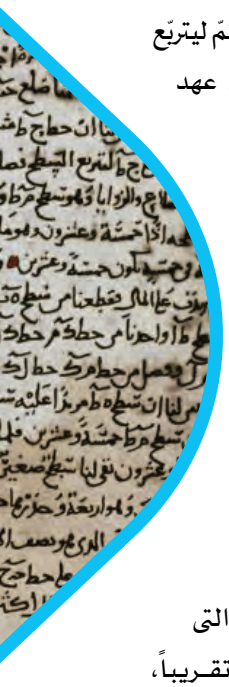

سجّل الخوارزمي جميع أعماله العلمية والحسابية باللغة العربية، وتُرجمت فيما بعد إلى عدة لغات أوروبيّة، ودُرِّست في الجامعات الأوروبيّة لعدة قرون.

يُعتبر الخوارزمي مؤسس علم «الجَبر». وهي الكلمة التي انتقلت لتغزو كلّ لغات العالم تقريباً، بعد أن قام بتأليف كتاب «حساب الجبرِ والمقابلة – توجد نسخةٌ عربيّةٌ من الكتاب في جامعة أوكسفورد البريطانيّة– بهدف المساهمة في (التوزيع العادل للمِلكية والمعاملات التجارية وتبسيط العمليّات الحسابيّة الأساسيّة). فقد عانى المسلمون في ذلك الوقت من مشاكل كثيرة وعثراتٍ شديدة واجهتهم في تقسيمِ المواريث واحتساب المساحات، فطُلِب من الخوارزميّ كتابةَ

مؤلّفٍ يخفِّفُ عن المسلمين معاناتِهم فكان ذاك الكتاب. وإن كان البعض قد ذهب إلى أنّ موهبةَ الخوارزميّ تمثّلت في التطوير وليس في الابتكار والاختراع. وقد استفاد من العلوم الهنديّة

والـيونانيـة والفارسيّة السائدة في عصره. وسواء كان الرجل مؤلِّفًا لعلم الجبر أم كان جامعًا مطوّرًا، فإن المذاهب العلميّة أخذُ وعطاء.

قابل الخوارزمي في حياته عالماً هندياً يُدعى (كانكا) ليتعلّم منه (علم الأرقام الهندية). حيث استخدَم القواعدَ الأساسيّة التي تعلّمها منه. وقام بالبناء والتطوير عليها ليُحدث ثورةً هائلةً في علم الرياضيات عموماً. واستطاع أن يُصيغ لأول مرة الأرقام

العربية (1،2، 3، 4 .. إلخ) التي مازال العرب حتى الآن يعتبرونَها أرقاماً أجنبية (لاتينية). وأرقامُنا العربيّة المستخدمة حاليًا فهي من الابداعات الهنديّة.

و من أبرز ما قدّمه الخوارزميّ للعالم هو إدخالُه العدد (صفر) إلى الأعداد، والذي اعتُبِر واحداً من أهمّ الإضافات الأساسية لعلم الرياضيّات. فبعد أن كان الصفر دائرةً تدلّ على الفراغ واللاشيء، قام بإضافتِه إلى الأرقام، فبدلًا من أن يكون الرقم عشرة مساويًا لعشرة أعداد من رقم 1(1+1+1+1+1+1+1+1+1+1) أصبح الرقم عشرة مساويا ل(10).

قام الخوارزميّ بتصحيح أبحاث العالِم الإغريقي بطليموس في كتابه «صورة الأرض» - توجدُ نسخةٌ واحدةٌ من الكتاب في مكتبةِ جامعةِ ستراسبورغ- الذي يعتبر من أعظم مؤلفات عصره في علم الجغرافيا، حيث تناول آراء بطليموس وفنّد ما بها من أخطاء. وقام برسمِ أوّلِ خريطةٍ صحيحة أو قريبة من الصحّة تمثّل العالم المكتَشف في ذلك العصر.

مؤلّفٌ آخر للخوارزميّ -نسخته الأصلية مفقودة، لكن له ترجمات عديدة منها في باريس ومدريد وأكسفورد-يدعى «زيج السند». يتكلّم فيه عن الحسابات الفلكيّة وحسابات التقويم، والبيانات الفلكيّة والتنجيميّة. كما يحتوي على جداولَ لحركاتِ الشمسِ والكواكب.

كل هذه الإنجازات - وغيرُها الكثير جداً - هي نتاج عمل عالِم واحد مُسلم في القرون الوسطى. وهو يعتبر واحداً من ضمن مئات العُلماء المسلمين الآخرين الذين ساهموا في صناعة الحضارة البشرية وكان لهم دور في تقدّم الإنسانية.

خضر فرحات
دبلوم علم اجتماع سياسي

بريشة: فاطمة الزهراء عمّار

الثمن الباهظ للماديّة

صدرت عن المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيّة، الترجمة العربيّة لكتاب «الثمن الباهظ للماديّة» لعالم النفس الأميركيّ تيم كاسر[1]. وفيه يبيّن كيف تُؤثّر القيم الماديّة وثقافة الاستهلاك في سعادة الإنسان وصحّته النفسيّة، بعد أن ساد الاعتقاد أنّ الحصول على ما يكفي من طعام ولباس ومأوى، وغيرها من الضروريّات والكماليّات الماديّة، يكفي لتحقيق السعادة والرفاهية. وقد برهنت الأبحاث الواردة في هذا الكتاب أنّ الذين يهتمّون بتكديس الثروات والممتلكات الماديّة، يتملّكهم شعور بعدم السعادة، ويُسيطر عليهم القلق، ويتعرّضون لمشاكل عاطفيّة ويفقدون ثقتهم بأنفسهم، بصرف النظر عن العُمر والجنس والدّخل والثقافة.

طارق عسيلي

يرتكز كاسر في أبحاثه على مُعطيات تجريبيّة، وعلى مجموعة كبيرة من الاستبيانات واستطلاعات الرأي، وبعد تحديد المشكلة وتحليلها ينتقل لاقتراح طرائق للتغيير على المستويات الشخصيّة والعائليّة والاجتماعيّة.

يقع الكتاب في مائة وثمانين صفحة من الحجم المتوسّط، ويحتوي على مقدّمة وفصولٍ تسعة.

وممّا جاء في مقدّمة الكتاب: **لقد تمّ إغراء عدد كبير منّا بالاعتقاد أنّ امتلاك مزيد من الثروة والممتلكات الماديّة أساسيّ للحياة الكريمة. وزُرعت فينا فكرة أنّ الإنسان، لكي يكون سعيداً، يجب أن يكون ميسوراً أوّلاً. وتعلّم كثيرون منّا، عن وعي أو عن غيروعي، أنّ تقييم رفاهنا وإنجازاتنا لا يكون من خلال النظر إلى الداخل، إلى روحنا أو كمالنا فحسب، بل من خلال النظر إلى خارجنا، إلى ما نملك وإلى ما نقدر على شرائه.**

في الفصل الأول تحدّث الكتاب عن موضوع الرسائل المُشوّشة التي تُلاحقُنا في حياتِنا اليوميّة، عبر وسائل الإعلام بأشكالِها المختلفة، بما تبثه من رسائل تُشكّل

1- تيم كاسر، عالم نفس أميركي ومؤلّف، اشتهر بأبحاثه المتعلّقة بـ«المادية» و«الثروة».

مصدراً رئيسيّاً للقيم الماديّة، بدءاً من عناوين الصُحف، التي تُكرِّم رابح اليانصيب، والكُتب التي تحمل عنوان: كيف تُصبح غنيّاً بسرعة، والتي تتصدّر لائحة الكتب الأكثر مبيعاً، مُروراً بالإعلانات التي تزيّن صفحات الإنترنت، وصولاً إلى مراقبة المشاهير على شاشات التلفزة وفي الإعلانات... وبرغم اختلاف هذه الرسائل بالشكل، إلّا أنّ كلّ رسالة منها تُعلن في جوهرها أنّ «السعادة يُمكن أن تـوجد فـي مـركز التسوّق وعلى الإنترنت، وفي الكاتالوجات».!؟

أمّا في الفصل الثاني فقد ناقش موضوع الرّفـاه الشخـصـيّ، عبـر مجـموعة من الدراسات التي أجراها مع عدد من الباحثين، وركّزت في ربط ما يراه الناس ذا قيمة، بمجموعة متنوّعة من مظاهر الحياة، مثل السعادة والاكتئاب والقلق.

كانت الدراسة الأولى عن طريق استبيان لقياس القيم، التي يتبنّاها الناس، سمّاه مُؤشّر الطموح، وقد شارك فيه مجموعة من الطلاب الجامعيّين. وبيّنت هذه الدراسة أنّ الشبّان الذين رأوا في النجاح الماليّ أساساً لطموحاتهم، عانوا تدنٍّ مستوى رفاههم، وارتفاعاً في مستوى الإرهاق، وصُعوبةً في التكيّف. وأوحت خلاصة النتائج أنّ: **«للحلم الأميركيّ جانباً مظلماً، وأنّ السعي للحصول على الثروة قد يكون مقوّضاً للسعادة».**

> **«زُرعت فينا فكرة أنّ الإنسان، لكي يكون سعيداً، يجب أن يكون ميسوراً أولاً»**

أمّا الاستبيان الثاني، فقد اعتمد على إجابات عن أسئلة إضافيّة، واتّسعت لجمهور أوسع، حيث عُرض على فئات عمريّة وطبقات اجتماعيّة مختلفة. وأكّدت نتائج الاستبيان الجديد النتائج السابقة، فقد تحدّث الراشدون الذين ركّزوا في المال والصورة والشّهرة عن مستوى من تحقيق الذات والاكتئاب أقلّ من المستوى الموجود لدى غير المهتمّين بالقيم الماديّة. وتحدّث من اهتموا بالمال والتملّك والشهرة عن أمراض جسديّة كالصّداع، وآلام الظهر والتهاب اللوز، أكثر من الأفراد الذين يقلُّ تركيزهم في هذه القيم.

أمّا النتائج التي توصّلت إليها الأبحاث المختلفة الأخرى، حول القيم الماديّة، فكانت واحدة وهي: تدنّي مستوى الرفاهية والصحّة النفسيّة عند من يتبنّون القيم الماديّة أكثر ممّا عند من يعتقدون أنّ السعي وراء الماديّات فاقد للأهميّة نسبيّاً. كما بيّنت الدراسات أنّ القيم الماديّة مرتبطة بتقويضٍ شامل لرفاه الناس، من رضا منخفضٍ بالحياة، إلى اضطرابات الشخصيّة، والنرجسيّة، والسلوك العدوانيّ تُجاه المجتمع.

ويبيّن الفصل الثالث أنَّ الحاجات

النفسيّة، وبصرف النظر عن الجدل المثار حول طبيعة هذه الحاجات وكيفيّة تصنيفها، فإنَّ الجميع يعترفون بأنّ إشباع الحاجات الماديّة لا يكفي لتأمين الرفاه. وأنّ سبب ارتباطِ القيم بمستوى حياةٍ منخفضِ الجودة يكمن في أنَّ هذه القيم هي مجرّد عوارضَ وإشارات. وإلى أنّ بعض الحاجات ما زالت دون إشباع.

ثمّة مجموعات أربع من الحاجات هي: الحاجة للشعور بالأمن والسلامة، والحاجة للتواصل مع الآخرين، وحاجات الكفاءة وتقدير الذات، وحاجات الأصالة والاستقلالية. والرفاهية وجودة الحياة تزداد عندما تُشبَع هذه الحاجات، وتقلُّ عند التقصير في إشباعها.

وخلَصت الدراسات والاستبيانات التي تضمّنها الفصل الرابع، إلى أنّ **عدم إشباع حاجات الأمن والسلامة والغذاء بشكل تامّ، يدفع الناس بشدّة إلى التركيز على القيم الماديّة. وسواء أتفحّصنا خصائص الأهل، والعائلة، أو البلد، أم نظرنا إلى محتوى الأحلام أو ردود الفعل على الموت، فالأدلّة هي ذاتها.**

وبالتالي، فالقيم الماديّة هي استراتيجيّات ضعيفة للمواجهة. كما تكون استراتيجيّات المواجهة الأخرى، التي يُمكن أن تجعل الناس يشعرون بالسعادة على المدى القصير (عزل الذات، إنكار المشكلة، الملذّات الحسّيّة مثل شرب الخمر والجنس)، كما أنّ السعي وراء الماديّات على المدى الطويل قد يزيد مشاعر عدم الأمن

ويُعمّقها. ويُشير الارتباط السلبيّ بين القيم الماديّة والسعادة، إلى أنّ هذه الاستراتيجيّة للتصدّي ليست نافعة في التخفيف من مشاكل الناس، وربما تزيد من تفاقم المشاكل عندهم.

الفصل الخامس عالج موضوع هشاشة تقدير الذات، إذ من الواضح أنّ لتقدير الذات مشتركات كثيرة مع كيفيّة فهم القيم الماديّة. فالناس الذين يتبنّون القيم الماديّة يُوقفون اعتدادهم بأنفسهم وتقديرهم لذواتهم على حصولهم على مكافأة (ماليّة) أو مدح من غيرهم. وأنّ بعض الآليّات السيكولوجيّة المتعلّقة بالسعي الحثيث لتحقيق

> أوحت خلاصة النتائج أنّ: «للحلم الأميركي جانباً مظلماً، وأنّ السعي للحصول على الثروة قد يكون مقوّضاً للسعادة»

الأهداف الماديّة، تحول دون تحسين رفاه الناس، عندما تزداد ثروتهم ويتحسّن وضعهم.

وثمّة حقيقة مُحزِنة وهي أنّ الناس عندما يشعرون بالفراغ من نجاح أو فشل ماديّ، يستمرّون بالاعتقاد أنّ الأكثر سيكون أفضل، وهكذا يتابعون الكفاح من أجل شيء لن يجعلهم أكثر سعادة أبداً. وخلال العمليّة يشعرون بقليل من الرِّضا النسبيّ عن حاجاتهم للكفاءة والاحترام، ويفشلون في تصحيح المسائل الأساسيّة التي تؤدّي بهم إلى هذا السعي الفارغ، ويتجاهلون

الحاجات النفسيّة المُهمّة الأخرى، وكلّ ذلك يكون على حساب رفاهيّتِهم.

كما خصّص الفصل السادس للحديث عن العلاقات

> **«الناس الذين يتبنّون القيم المادية يُوقفون اعتدادهم بأنفسهم وتقديرهم لذواتهم على حصولهم على مكافأة (مالية) أو مدح من غيرهم»**

المُتردّية مع الآخر، حيث كشفت الدراسات أنّ الأشخاص الماديّين يُعانون العزلة في علاقاتهم الاجتماعيّة أكثر من الأشخاص غير الماديّين، وأنّ الترابط بين العلاقات غير المستقرّة والقيم الماديّة يظهر

> **«التأثير السلبي الذي يُمارسه المتبنّون للقيم المادية، يؤدّي إلى التضحية بالحميمية والعاطفة، ويجعل العلاقات فارغة وسطحية»**

على مستوى لا واعٍ أيضاً، إذ بيّنت دراسة للأحلام أنّ الناس المُوجّهين نحو القيم الماديّة كانوا في الغالب يتجنّبون الألفة والعلاقات الحميمة في أحلامهم. كما تحدّث هؤلاء عن أحلام مليئة بالصرعات والمشاكل.

وفي الإجمال، وبالمقارنة مع قليلي الاهتمام بالقيم الماديّة، كانت علاقات الماديّين أقصر عمرًا، وتخلّلها خصومات مع الأصدقاء والأحباب، وكانوا يشعرون بالعزلة والانفصال عن المجتمع.

وبالتالي، فإنّ القيم الماديّة دفعت الناس للتقليل من «الاستثمار» في علاقاتهم وفي مجتمعاتهم. والملاحظ أنّ التعبير عن هذا النقص النسبيّ بالاهتمام بالارتباط، يحصل في العلاقات ذات الجودة المنخفضة التي تتميّز بقلّة التعاطف، وبالتشتّت والنزاع ومشاعر العزلة. بالإضافة إلى أنّ هذه القيم تُضعف الروابط بين الأزواج والأصدقاء والعائلات والجماعات معاً، وبالتالي تتعارض مع إشباع حاجات الألفة والتواصل.

الحريّة هي موضوع الفصل السابع، إذ بيّنت الدراسات ارتباط القيم الماديّة بإضفاء قليل من القيمة على الحريّة والتوجّه الذاتيّ، وهكذا يقلّ احتمال إشباع هذه الحاجات. فالمهتمّون بالقيم الماديّة خاضوا تجارب ركّزت في الحصول على المكافأة والمديح، أكثر من الاستمتاع بالتحديّات وملذّات الأنشطة الأصيلة، وبالتالي، أغفلوا تجارب الاستقلال والأصالة.

فالقيم الماديّة مُرتبطة بميل للشعور بالضغط والإجبار، حتّى في السلوك المنسجم مع هذه القيم. وكلّ هذا يُشير إلى أنّ الناس عندما يركّزون في القيم المادّية يشعرون أنّهم مُقيّدون ومُعرّضون للضغط، وخاضعون للسيطرة، ولا يسعون لتأمين سبيل للحرّية والاستقلال.

وقد برهن المؤلف في الفصل الثامن، التأثير السلبيّ الذي يُمارسه المتبنّون للقيم المادّية في صحّة الآخرين وسعادتهم. ورأى أنّ التفاعل مع الناس الآخرين، عندما يرتكز على القيم المادّية يؤدّي إلى التضحية بالحميميّة والعاطفة، ممّا يجعل

العلاقات فارغة وسطحيّة. وقد سبّب هذا السلوك ضرراً مهمّاً ليس على الجيل الحاليّ فحسب، بل من المرجّح أنّه سيضرّ بالأجيال القادمة. فالارتدادات تمتدّ من الأفراد إلى العائلات ثمّ إلى المجتمع الأوسع. والمؤسف أنّ أحداً لم يُولِ كوكب الأرض اهتماماً، بسبب التركيز الشديد في القيم المادّية الذي ظهر من الأفراد والجماعات. وإنّ سلامة الكرة الأرضيّة سوف تتضرّر، كلّما دفعت هذه القيم من يتبنّونها للاستهلاك في معدّلات مضرّة لا يمكن احتمالها.

وأخيراً اقترح تيم كاسر في الفصل التاسع، استراتيجيّات للتغيير في العمليّات الفرديّة والعائليّة والاجتماعيّة التي تدعم القيم المادّية. مُقدّماً آراء بديلة عن القيم المادّية لجعل الناس أكثر سعادة من خلال التركيز في قيم تُشجع القبول بالذات والعلاقات الجيّدة والعمل الاجتماعيّ. كما شدّد على التقليل من التركيز في القيم المادّية كمنهج لرفع مستوى السعادة عند الأفراد والمجتمع والعالم الواسع. **ولكي نحسّن من جودة الحياة لأنفسنا، وعائلاتنا، ومجتمعاتنا، وكوكبنا ليس هناك تضحية أفضل من التقليل من القيم الماديّة في حياتنا اليوميّة، ومَحْوِ صورة الصحّة النفسيّة المزيَّفة التي رسمتها الإعلانات في وسائل الإعلام العالميّة. ورأى أنّ تركيز الاقتصاد العالميّ في أيدي أشخاص يحملون قيماً ماديّة، يشكّل خطراً صحّيّاً على كوكبنا.**

وفي الختام، يُمكن القول: إنّ كتاب «الثمن الباهظ للماديّة» يشكّل لقاحاً مناسباً ضدّ انتشار القيم المادّيّة، وأنّ المعطيّات العلميّة التي قدّمها الكاتب في صفحات كتابه، جاءت لتُبيّن حقيقة وجوديّة مهمّة أشار إليها حديث رسول الله محمّد (ص) وبها ختم كتابه: «ليس الغنى في كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

رسول الله محمد ﷺ:
«ليس الغنى في كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»

طارق عسيلي
دبلوم دراسات عليا في الفلسفة
باحث ومترجم ومدرّس مادة الفلسفة

بريشة: فاطمة الزهراء عمّار

رسول اللّه صلى الله عليه وآله

اغْتَنِمْ

خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ

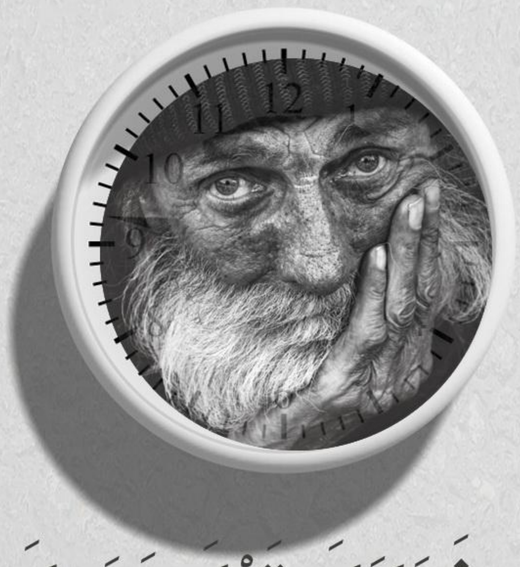

شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ

وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ

وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ

وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ

وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ

المحتويات
content

بوصلة

واجب المبادرة — زينب عقيل — 2

بقعة ضوء

تصميم ذكي لا صدفة عمياء — سامر توفيق عجمي — 6

ملف العدد

الله موجود على ضوء منطق حساب الاحتمالات — 9

ستيفن هوكينغ : كلامي مجرّد فرض لا يمكن اختباره — د. عبد الله زيعور — 13

من خلق الله؟ — جعفر الحاج حسن — 15

النيو داروينية : علم أم إيديولوجيا؟ — فاطمة عبد الله — 17

ضيف وتجربة

البروفسور خليل أحمد خليل مترجم موسوعة «لالاند» — ريحانة زعيتر — 20

تربية

لم أعد أستطيع العيش مع أهلي — د. نبيل سرور — 24

المطالعة.. أزمة ورق أم أزمة مزاج؟ — فرح الحاج دياب — 26

تنمية

6 أفكار للترويج الذاتيّ — محمد حسن — 31

المخترع العمانيّ هلال بن سالم السيابيّ — فاطمة سلمان — 33

أدب وفن

زهرة بانسيه — مريم ميرزاده — 36

«نظام يقوم مقام الإله» فيلم geostorm للمخرج دين ديفلن — زينب عقيل — 39

هامش للموت — محمد مجدي — 43

بين الجهل والعلم — أسيل سقلاوي — 46

إنترنت

البحث في الفضاء الرقمي لماذا؟ كيف؟ متى؟ — حسين عمّار — 49

تكنولوجيا

البيوت الذكيّة — علي زين — 52

مصطلح ومعنى

نوموفوبيا: اتجاه صاعد بين الشباب — التحرير — 54

إسهامات حضارية

الخوارزميات 5 — خضر فرحات — 55

قراءة في كتاب

الثمن الباهظ للمادية — طارق عسيلي — 59

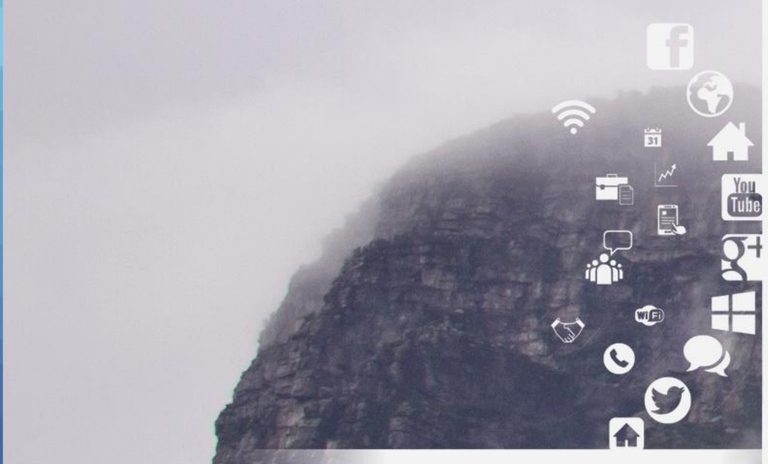

للتواصل

Email: Among.shabab@gmail.com

Whatsapp: 09613835051

telegram: t.me/maashabab

website: maaalshabab.iicss.iq

facebook: @maaalshabab

twitter: @maaalshabab

instagram: maaalshabab